ما يجري الآن في فلسطين وللفلسطينيين

الحقيقة ولغة الخطاب

الجمال.. و قوافل التساؤل

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق — 12 صفحة

العدد: «1839» الأحد 2023/10/22م - 7 ربيع الثاني 1445هـ — 200 ل.س

كتبها: د. محمد الحوراني

ملحمةُ الطُّوفان... نهايةُ المُقاومة أم نهايةُ المُحتلّ؟

لم يعرفْ كيانُ الاحتلال الصهيونيّ كابوساً مثلَ كابوس السّابع من تشرين الأوّل ٢٠٢٣، ولم يشهد العالمُ إجراماً يُماثلُ إجرامَ المُحتلّ الصهيونيّ عَقبَ مُحاولة رجال المُقاومة استعادةَ بعض حُقوقهم المُغتصَبة منذُ أكثرَ من خمس وسبعينَ سنةً، ذلكَ أنّ قُوى الشّرّ في العالم تداعَتْ إلى القضاء على قُوى المقاومة التي أجهضَتْ مشاريعَهم الاستعماريّةَ في العقود الأخيرة، بل إنّ الولايات المُتّحدةَ الأميركيّةَ قدّمتْ كُلَّ ما بوُسْعها منْ مُساعدات ماديّة وعسكريّة إلى الكيان الصهيونيّ في مُحاولته المجنونة القضاءَ على قُوى المقاومة في فلسطين، كما أنّ رئيسَها ووزيرَ خارجيّته وكبارَ قادة الاستخبارات الأميركيّة قادُوا عمليّات القتل والتدمير التي أقدمَتْ عليها قُوّاتُ الاحتلال الصهيونيّ، ودفعُوا بجنودهم ومُستشاريهم وحاملات طائراتهم إلى المنطقة، في مُحاولة إعادة الاعتبار والتوازُن والهيبة إلى الكيان الذي ضُربَتْ عقيدتُه الأمنيّة والعسكريّة، وغدا مأزُوماً، على نحو كبير، على الصعيد الداخليّ، بعدَ سلسلة من الهزّات والنكسات التي أُصيبَ بها داخليّاً في المُدّة الأخيرة، وبعدَ جولات من الإخفاق الكبير في تحقيق مشروع «الشّرق الأوسط الكبير» الذي أُطلقَ بالتنسيق والتآمُر بينَ الولايات المُتّحدة الأميركيّة والكيان الصهيونيّ وبعض الدُّوَل في المنطقة والعالم، ولعلَّ الإخفاقَ الأكبرَ الذي أصابَ الكيانَ الصهيونيَّ وداعميه تمثّلَ في إجهاض المُؤامرات على بعض دُوَل المنطقة، ولا سيّما سورية، من خلال ما سُمّيَ بـ: «الرّبيع العربيّ».

ولمّا كانتْ قُوى المقاومة في فلسطين خاصّة، وفي المنطقة عامّة، قد آثرَت الانحيازَ إلى فلسطين، جاعلةً منها قضيّتَها المركزيّةَ والبوصلةَ التي تُوجّهُ عملَها، فإنّ الكيانَ المُحتلَّ وَجدَ الفُرصةَ سانحةً أمامَهُ لتصفية قُوى المقاومة في فلسطين عامّة، وفي غزّةَ خاصّة، من خلال اتّباعه سياسةَ الأرض المحروقة، واستهدافه المشافيَ والمساجدَ والكنائس، مُستخدماً في سبيل ذلكَ كُلَّ أنواع الأسلحة، بما فيها تلكَ المُحرَّمة دوليّاً، ظنّاً منهُ أنّ الإثخانَ في الأطفال والنساء والشيوخ يُفقدُ المقاومةَ بيئتَها الحاضنة، ويجعلُها تنقلبُ عليها، بعدَ أنْ يكونَ قد دمّرَ المنازلَ والمشافيَ والمدارسَ والكنائس، وجعلَ البشرَ بلا مأوى. والحقيقةُ أنّ قُوّات الاحتلال الصهيونيّ أرادَتْ من حربها المسعورة على الأبرياء في فلسطين المحتلّة التّخلُّصَ من غزّةَ التي شكّلتْ كابوساً مُزعجاً للكيان، فأرادَ تدميرَها وإفناءَ أهلها بعدَ أنْ خابَ ظنُّهُ في ابتلاع البحر لها ولمن فيها، وبعدَ أيام من الحرب المسعورة على الأبرياء في غزّة وإخفاقه في إنهاء الحياة فيها، عادَ إلى طَرْح رغبات قديمة لديه تتمثّلُ في إجلاء الغزّاويّينَ عن أرضهم إلى سيناءَ وغيرها، لكنَّ الشعبَ الفلسطينيَّ أدركَ حقيقةَ المُؤامرة، فرفضَ مُغادرةَ أرضِ غزّةَ إلّا إلى غزّة، وآثرَ الشهادةَ على التهجير إلى أيّ منطقة أُخرى. أمامَ هذا الثبات الفلسطينيّ على البقاء في الأرض والتجذُّر فيها، غدا كيانُ الاحتلال أكثرَ إجراماً في قصْفه المشافيَ والكنائسَ والمساجد، مُوقعاً آلافَ الشُّهداء والمُصابينَ في صفوف النساء والأطفال، ومُحاولاً تضليلَ الرأي العامّ العالميّ والإعلام الغربيّ بتقديمه صُوَرَ الشُّهداء من الأطفال الفلسطينيين على أنّها للأطفال الصهاينة الذين استهدَفَتْهُم المُقاومةُ، وهو ما أدّى إلى تبنّي بعض وسائل الإعلام الغربيّة هذه الرؤيةَ، مثل (CNN) و(BBC) قبلَ أن تتراجعَ عنها بعدَ الحملة الكبيرة التي شُنّتْ عليها بسبب التضليل الإعلاميّ الذي مارسَتْهُ، وتبنّاهُ الرئيسُ الأميركيّ "بايدن" شخصيّاً، في مُحاولة منهُ شَيْطَنةَ المُقاومة الفلسطينيّة تماماً كما هو حالُ الفرنسيّين والألمان والإنكليز الذين أرْهَبَتْهُم الكوفيّةُ والأعلامُ الفلسطينيّة، فعَمَدُوا إلى تجريم كُلِّ مَنْ يَحملُها، أو يتضامَنُ معَ الشعب الفلسطينيّ، بل إنّهم عمدُوا إلى مُعاقبة كُلِّ من ينتقدُ المُمارسات الصهيونيّةَ كما هو الحالُ معَ رسّام الكاريكاتير في صحيفة "الغارديان" البريطانية "ستيف بيل" الذي أُقيلَ من عمله بعدَ أربعة عُقود أمضاها في العمل، لا لشيء، إلّا لأنّهُ رسمَ رئيسَ وزراء الكيان الصهيونيّ، وهو يستعدُّ لإجراء عمليّة جراحيّة، ويظهرُ في الخلفيّة قطاعُ غزّة معَ تعليق يتضمّنُ نداءً إلى سُكّان غزّة بالخروج، وهذا ما عُدَّ "مُعاداةً للساميّة" استحقَّ العقابَ عليه، في الوقت الذي لم يَجرُؤْ فيه أيٌّ من المُنظّمات الدوليّة، التي تدّعي حماية حقوق الإنسان والدفاع عنها، على إدانة الإجرام الذي تُمارسُهُ آلةُ البطش الصهيونيّة في حقّ النساء والأطفال الفلسطينيين، أو إدانة دُعاة قتل أبناء الشعب الفلسطينيّ وتشويههم، كما هو حالُ المُجرمة "تسيبي نافون" مُستشارة زوجة رئيس الوزراء الصهيونيّ "نتنياهو"، التي طالبَتْ عَبْرَ صفحتها على (فيسبوك) بعدم قتل المُقاومينَ الفلسطينيّين، بل دَعَتْ إلى تعذيبهم قبلَ ذلك، مُقترحةً أن تُسلخَ جلودُهم، وتُمسَحَ أجسادُهم بزيت الخنازير، قبلَ قطع الأعضاء الحسّاسة من أجسادهم، ثمّ رميهم بالرصاص.

نعم، هذا هو الكيانُ المُجرم، وهذه هي المُؤسّساتُ التي تدّعي حمايةَ حقوق الإنسان والدّفاع عنها. إنّها مُؤسّساتُ الانحياز إلى هذا الكيان المُجرم الذي قتلَ الطُّفولةَ، وشوّهَ براءتَها، منْ خلال تدميره المنازلَ فوقَ رُؤوس ساكنيها، وتفنّنه في خَلْق جيل من الصهاينة قائم على العقيدة الداعشيّة التي خلقَتْها أجهزةُ الاستخبارات الأميركيّة والصهيونيّة في المنطقة، وليسَ أدلَّ على ذلك من لعبة الأطفال التي ابتكرَها العقلُ الصهيونيّ الاستئصاليّ خلالَ الأيام الماضية، والمُخصّصة أساساً للأطفال الصهاينة، إذ يضغطُ الطفلُ الصهيونيُّ زرّاً يُؤدّي إلى قَذْف غزّةَ منْ خريطة فلسطين المُحتلّة.

هكذا هيَ الحربُ على أطفال فلسطين وعلى نسائها وشبابها اليوم. إنّها حربُ إبادة واستئصال بكُلِّ ما تَحملُهُ الكلمةُ من حقد وعُنف ودعم أميركيّ، وهو الدعمُ الذي وصلَ إلى حُدود قيادة الحرب بدلاً من "إسرائيل" حسبَ ما أكّدتْهُ صَحيفةُ "يديعوت أحرنوت" الصهيونية.

وعلى الرغم من شراسة الحرب الصهيونيّة الأميركيّة وقذارتها على أهلنا في فلسطين المُحتلّة، لكنَّ حُلمَ الصهاينة بمُغادرة الفلسطينيّين أرضَهُم باءَتْ بالإخفاق، تماماً كما أنّ حُلمَهُم بتَخلّي الشعب الفلسطينيّ عن المُقاومة قد تبخّرَ تماماً، فالشعبُ الفلسطينيُّ أصبحَ على يقين مُطلَق بأنّ مصيرَ الشعب وقُوى المُقاومة واحد، وأنّ فلسطينَ لا يُمكنُ أن تتحرّرَ إلّا بالثبات والمقاومة، ولهذا فإنّ الشعبَ الفلسطينيَّ لم تَعُدْ تُرْهبُهُ آلةُ البطش والقتل الصهيونية، ولا التهديد باجتياح غزّةَ برّيّاً، لأنّ أبناءَ غزّةَ ورجالَ المُقاومة فيها يَعْرفُونَ تماماً كيفَ يُحيلُونَ هذا التّدخُّلَ، إنْ حدَثَ، إلى مأتم كبير من شأنه أن يُسرعَ في الإجهاز على الكيان المُحتلّ واستئصاله. ولهذا كانَ الدّعمُ الغربيّ والأمريكي للكيان كبيراً في محاولة لإنقاذه من الانهيارِ المتسارع وخاصة بعد ملحمة الطوفان التي كشفت زَيف قوته ووهنَ استخباراته.

ما يجري الآن في فلسطين وللفلسطينيين

كتب: د. لبيب قمحاوي

الإعلان الإسرائيلي عن الهجوم الكاسح الناجح الذي قامت به قوات القسام على مستعمرات ومدن غلاف غزة جاء مشيراً إلى فداحة الصدمة التي أصابت الكيان الإسرائيلي من جهة والنوايا الخبيثة الإجرامية لهذا الكيان ضد معضلتهم الأكبر في إقليم غزة الفلسطيني جغرافياً وبشرياً، وإلى التبشير الإسرائيلي المبكر بأن المعركة المقبلة مع هذا الإقليم سوف تكون طويلة ودموية لأن أهدافها تتمثل في إفراغ إقليم غزة من معظم سكانه وإجراء تغييرات بشرية ديموغرافية بنقل السكان من منطقةَ إلى أخرى بحيث يتحول سكان غزة من مجموعة واحدة إلى مجموعات مبعثرة هنا وهناك يسهل التعامل معها عسكرياً وكذلك اختراقها وتدميرها، وهكذا، فإن وقف الحرب الإسرائيلية الدائرة الآن محكوم بشكل أساسي بقدرة «إسرائيل» على النجاح في الوصول إلى أهدافها سواء المخفية أو المعلنة، وتتمثل هذه الأهداف بشكل عام بالآتي:

أولا: تدمير مدينة غزة بشكل شبه كامل دون أي اعتبار للقانون الدولي أو الإنساني أو الضحايا بين المدنيين و(التبرير) الإسرائيلي لذلك من خلال الإعلان الإسرائيلي العنصري المتكرر بأن الفلسطينيين ليسوا بشراً، وبالتالي لا تنطبق عليهم القوانين الإنسانية، وأن الإسرائيليين فقط هم البشر.

ثانياً: تهجير أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين من إقليم غزة بحيث لا يعود هذا الإقليم قنبلة بشرية فلسطينية تقلق «إسرائيل» وأمنها المستقبلي.

ثالثاً: تدمير كافة التنظيمات الفلسطينية في غزة والتي تتبنى نهج المقاومة تدميراً كاملاً، ومنهم حركة حماس وكتائب القسام والجهاد الإسلامي.

رابعاً: محاولة خلق حُكم فلسطينيٍّ في إقليم غزة يكرس الانفصال الفلسطيني ويكونَ تابعاً للاحتلال وظلاً له مثل السلطة الفلسطينية في الضفة الفلسطينية.

خامساً: تهدئة نفوس الإسرائيليين التي أصابها الخوف والفزع من الإنجاز العسكري الفلسطيني والهزيمة الإسرائيلية وإعادة ثقتهم بمؤسستهم العسكرية من خلال تدمير المدن الفلسطينية وقتل الفلسطينيين بنَفَسٍ انتقامي يخلو من أي نزعة إنسانية.

الحقيقة الأساس والأهم في محاولة فهم موقف أمريكا والعالم الغربي المجنون في إعطائه لـ«إسرائيل» تفويضاً مفتوحاً لفعل ما تريد مهما أدى ذَلَك التفويض إلى عنف مجنون وعمليات قتل متعمدة وإبادة جماعية لسكان إقليم غزة من المدنيين هي أن «إسرائيل» في واقعها الحالي نتاج للحرب العالمية الثانية، وهذا المنتج الذي جاء على حساب الشعب العربي الفلسطيني كان وما زال يشكل جزءاً رئيساً من الرؤية الأمريكية والغربية للحفاظ على مصالحها في المنطقة وفي العالم، ومن هنا، فإن «إسرائيل» تقع في منظور الرؤية الأمريكية والغربية خارج نطاق القانون الدولي والإنساني والأعراف الدولية وما هو مسموح به وما هو ممنوع، فهذا ينطبق على الآخرين في العالم وليس على «إسرائيل» التي تشكل امتداداً للرؤية الغربية وللذنوب والانتصارات التي رافقت وأعقبت الحرب العالمية الثانية، مع أن شعوب العالم الغربي قد فاض بها الكيل من استمرار متاجرة الإسرائيليين بعقدة الذنب لما يزيد عن سبعين عاماً.

«إسرائيل» باقية ما بقي النظام الدولي السائد منذ الحرب العالمية الثانية ولن تزول إلا بزوال ذلك النظام، هذه هي الحقيقة المؤلمة التي تفسر الكثير من الألغاز والأحجيات التي ترافق موقف العالم الغربي من الكيان الإسرائيلي، ولا يجدي في هذه الحالة الحديث عن الحقوق والعدالة ووجوب الكيل بنفس المكيال.. إلى آخر ذلك فهذا كلام لا يُجدي ولا معنى له في قاموس المصالح السياسية والاقتصادية للعالم الغربي.

وهذا الحال يترك الفلسطينيين في المدى المنظور أمام خيارين: الأول يتمثل بالقبول والانصياع والتعايش من منطق الهزيمة والاستسلام وهو خيار تمثله السلطة الفلسطينية، والثاني خيار الرفض والمقاومة وعدم قبول الأمر الواقع وجعل كلفة الاحتلال عالية وبشكل مستمر، وهذا موقف حماس وكتائب القسام، وخطة «إسرائيل» على ما يبدو تتمثل في جعل تكلفة الخيار الثاني على الفلسطينيين عالية جداً لدرجة تمنعهم من تبني هذا الخيار وهو ما تحاول «إسرائيل» فعله الآن.

إن استيعاب وضع النظام الدولي السائد وميزان القوى المرافق له، وهو حالياً في صالح القوى المؤيدة والداعمة لـ«إسرائيل»، يشير إلى استحالة تبني خيار التحرير في هذا الوقت لأن ذلك يعني الصِدام مع قوى العالم الغربي وعلى رأسها أمريكا، ولكن ذلك لا يعني وينبغي ألا يعني الاستسلام للأمر الواقع والقبول بالاحتلال، إن العمل على خلق الإحساس لدى الاحتلال بأن وضعه مؤقت وأن وجوده مفروض بالقوة من خلال عمليات مقاومة هو أمر ضروري وأساسي لاستمرار القضية الفلسطينية حية وذات قيمة مادية ومعنوية ووطنية عالية، وأنها في نهاية الأمر سدٌّ يحمي الفلسطينيين من إمكانية تطبيق الحل الأمريكي الذي أباد سكان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر واستولى على بلادهم أو الحل البريطاني الذي أباد سكان أستراليا الأصليين واستولى على بلادهم، ومن هنا تأتي خطورة مسار السلطة الفلسطينية الذي يقبل بالاحتلال والتبعية له على مستقبل القضية الفلسطينية والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وأهمية مسار المقاومة كما تجسده حركة حماس مع أنها تعلم جيداً أن مسار المقاومة في الظروف الحالية لن يؤدي إلى تحرير فلسطين أو يسمح به ولكنه سوف يمنع ذوبان القضية الفلسطينية وطمس معالم الشعب الفلسطيني وسرقة تراثه.

إن ما أثار جنون «إسرائيل» وأمريكا والعالم الغربي أن الفلسطينيين نجحوا بعمليتهم الأخيرة في تحدي الحصار الإسرائيلي وآلة الحرب والحماية الإسرائيلية والتكنولوجيا الأمريكية وتمكنوا من اختراق الحصار الإسرائيلي واحتلال العديد من مدن ومستوطنات غلاف غزة مما شكّل هزة للفلسفة الأمنية الإسرائيلية بأوجهها المختلفة والهادفة إلى إلغاء أي دور للفلسطينيين واعتبار وجودهم على أرض فلسطين أمراً طارئاً وغير شرعي وغير مرغوب فيه وأن أصحاب الحق بالوجود على أرض فلسطين هم الإسرائيليون حصراً.

الأمور سوف تنصب الآن على إعادة رسم خارطة الأحداث في المنطقة، والخيار بالنسبة للإسرائيليين وحلفائهم في العالم الغربي يتأرجح بين إلغاء أي دور للفلسطينيين على الإطلاق، أو الاعتراف بحقهم في دولة خاصة بهم ضمن مواصفات معينة بهدف تخفيف الاحتقان الفلسطيني ومنع انفجار الأوضاع في المستقبل، وإن كان ذلك قد يعني مطالبة الفلسطينيين بدفع أثمان فادحة مقابل الحصول على تلك الدولة والمرشح أن تكون دولة تابعة أمنياً واقتصادياً لـ«إسرائيل»، وهذا يعني استبدال عنوان الحكم الذاتي بعنوان الدولة دون أي تغيير في المحتوى.

المقاومة المستمرة هي الرد الفلسطيني الصحيح على الاحتلال وهذا الاحتلال يزداد شراسة ولؤماً كلما زاد استسلام الفلسطينيين وقبولهم بالاحتلال، وسلوك الاحتلال الشاذ المجرم الذي لا يَعُدُّ الفلسطينيين بشراً، هو السبب في تأزيم الأوضاع وتأجيج المشاعر بين أوساط الشعب الفلسطيني، وعلى المجتمع الدولي أن يحاكم الإسرائيليين على أفعالهم التي تسببت في رد الفعل الفلسطيني الأخير.

الحقيقة ولغة الخطاب

كتب: د. عاطف البطرس

لا فكرة أو رأي إلا ويمكن معارضته أو الرد عليه، وهذا حق مشروع لكل صاحب موقف وحامل فكرة.

ولكن المشكلة تكمن في شكل الخطاب وطريقة الرد، التي تنوس بين العقلانية__ وهي مطلب في كل المنافسات__ والانفعالية والهيجان الذي لا مسوّغ له إلا إذا فقد الإنسان قدرة السيطرة على أعصابه، وانعدمت لديه الموضوعية في إطلاق الأحكام، فيلجأ عندئذٍ إلى إطلاق الشتائم، ويستخدم المفردات التي لا تدل على حالة متزنة وهادئة، وحالة الاتزان والهدوء هي الحد الأدنى الذي تتطلبه المواجهة بين الأفكار حتى لو كانت على درجة كبيرة من التباين.

الفكرة بالفكرة، والقلم بالقلم، والنزق بالتروّي والهدوء، التجنّي وإطلاق الأحكام الجائرة، إذا لم يواجه بتوازن واتزان، يفقدها كثيراً من مشروعيتها، وبذلك ينجح الخصم في جرّ خصمه إلى ساحته الانفعالية الاتهامية الظالمة.

إذا أردت أن تكون مقنعاً لا يكفي أن تمتلك الحقيقة، وهو أساس المواجهة، لا بدّ لك من استخدام الأساليب والمفردات والجمل والصياغة التي تدعم الحق الذي تدافع عنه، وإلا انقلبت الحقائق إلى نقائضها، وافتقدت القدرة على الإقناع، وهو الغاية من الكتابة ونشرها.

توجيه الاتهامات أمر سهل وميسور للجميع، فما أسهل أن نوجّه حزمة من التهم إلى هذا الشخص أو ذاك، هذه الجهة أو تلك، لكن المشكلة في المصداقية، ليس في صدق التهم، وإنما أيضاً في سلوك من يتهم ومواقفه، هل هو بريء من تلك التي يوجهها لخصومه حتى لو كانوا على ضلال مبين؟

أساليب المواجهة ولغة الخطاب مكسب حضاري ثقافي إنساني ووطني، والحرص على احترام الآراء المتباينة أو المتعارضة يقلل من احتمال اشتداد العداوات بين المختلفين، فبمقدار ما نملك من هدوء، نستطيع أن نجنّب خصومنا التمادي في تصوراتهم الخاطئة.

مهمة الأعقل أن يتسع صدره لكل الأفكار ووجهات النظر المخالفة له، وواجبه نحو الاختلاف يتعاظم بحجم المسؤولية التي تقع على كاهله، فأخطاء الكبار كبيرة، وهفواتهم تتعدى حدود مسؤولياتهم الشخصية لتصبح قضية عامة تترك آثارها على مجمل العلاقات الثقافية والفكرية في مؤسساتهم، وفي علاقتها بالمؤسسات الأخرى.

لا يمكن الحديث عن ثقافة وإنجازات معرفية خارج المؤسسات، صحيح أن الثقافة إنتاج فردي، يبدعه المثقفون، إلا أنهم بتكوينهم العام نتاج اجتماعي، إذا لم يؤطر في مؤسسات ترعاهم، وتساهم في تشجيعهم، والعمل على مساعدتهم في تسويق إنتاجهم، يصابون بشيء من الإحباط والخيبة.

قوة العلاقة ومتانتها بين المؤسسات المشرفة على الثقافة تنعكس على العلاقات بين منتجي الثقافة، سلباً وإيجاباً، والعكس صحيح، لكن يبقى تأثير المؤسسة أكثر مضاء من قوة تأثير الأفراد المنتمين إليها.

المحافظة على المؤسسة واجب وطني، ويجب عليها أن تكون الحامي والضامن والمدافع عن حقوق المنتسبين إليها، لا عامل تفرقة وتمييز بين أعضائها، فهي عندئذ لا تسيء إليهم فقط، وإنما تحكم على نفسها بانعدام المصداقية وازدواجية المعايير، والتحيز الذي لا يأخذ بالحسبان الكفاءات الثقافية والمؤهلات الإبداعية، وإنما يستبدل بها العلاقات الشخصية والولاءات التي لا علاقة لها بالمنسوب الإبداعي للمنتج الثقافي.

فإلى مزيد من التعقل، والتروي والهدوء، والابتعاد عن الانفعال والتسرع في إطلاق الأحكام وكيل التهم، فهي لا تضير الموجهة إليهم، بمقدار ما تسيء إلى مطلقيها، وتتفاقم الإساءة إذا كانت الاتهامات لا تستند إلى حقائق ملموسة وأدلة واضحة مثبتة.

أيمن والعصا السّحرية

كتب: د. محمد موعد

في صباح تَشريني من صباحات الطّوفان شرعت الإعلامية تبكي بحرقة، تتكلم ولا تكاد تُبين، تصفُ ما عاينتْ من هول حين رنت إلى طفل يحضن حقيبةً مَدرسيةً وهو يدخل مشفى (الشفاء) بغزّة، فخطر لها أنّ ضربًا من ضروب الهذيان قد اعتراه، فكيف يحمل تلك الحقيبة المدرسيّة، ومدرسة (الأنوروا) تعجّ بالنازحين، وكيف يحملها وهو يلجُ ذلك المشفى؟

دنَتْ من الطفل فسألته عن الحقيبة التي يحضنها، ويقبّلها، فتحها وهو يبكي، ووقعت منها نظرة شلّت كلّ خاطر منها؛ فقد كان فيها بواقي من أشلاء أخيه الصغير (أيمن):

زعموا أن صباحاً كانْ[1]

زعموا أن تراباً كانْ
ودمَ الطفلة سال على الصخرْ
كي تشربهُ الوديانْ
وسيطلع ذات صباحٍ
كي يهدينا خرزاً
وشقائق نعمانْ

أجل! أجل! زعمت طائرات يهود أن الصغير قد دخل (غلافَ غزّة) في صباح السّابع من (أكتوبر) فطاف عليه بناره، ثم فرّ إلى تُراب مشفى (المعمداني) ولحقت به الطائرات لاقتلاع المشفى واجتثاث ترابه من أصوله.

وحينئذ سالت أشلاء دم الصغير مثلَ جدَاول في الأرض، وشرع الدّم الزاكي يغوص فيها يتتبع التراب ليرويه؛ غير أن ذهولاً قد اعتراه، فالطائرات التي طلبته قد أزالته عن الوجود؛ غير أنها لم تُطق نيلاً من الصخور تحته، فسالت أشلاء الدمّ تطلب الصخور؛ فأبت ذلك، فسرتْ بعيدًا بعيدًا صوب الوادي..

وها هو الوادي يمدّ الوديان مما انتهى إليه من عبقها الزاكي؛ فتغدو بعيدًا بعيدًا حيث وادي (بردى) شريان حياة دمشق؛ وحيث غوطتها، وحيث بستان حفيدي (حمودة) بستانها الذي يعاوده كلّ نيسان؛ ليهديه (خرزًا) وشقائق نعمان، و(الخرز) والشقائق تخبرك عن ضرب عجيب من الفرح سرى إليه من حديث أيمن؛ تخبرك:

عن فرح الغابات الفاتن في عينيه
وعن سحر يديه
إذا فرّتْ أنهارُ الأرضِ وخبّأها بين أصابعه

فهو فرح الغابات وعرسها الأسطوري في احتفائها بأشلاء الصغير، وبسحر يديه..

أجل! سحر يديه! وبين يديه عصا سحرية، عصا تطيق كل شيء، وكيف لا تطيق العصا كلّ شيء وهي هدية حفيدي (حمودة) إليه، فهي في الأصل عصا جدّته الكبرى (عسلة الموعد) التي أخرجتها معها من (صفورية) إثر نكبة ثمانية وأربعين، وهي عصا كانت تروي أجمل الحكايات عن سهل مرج ابن عامر وعن بيادر القمح والسمسم والزيتون لصغار ولدها (عطا) وطالما أوصتهم بأن أنهار الأرض إنْ طافت وهددت حياة الصغار أطاقت العصا السحرية جعل طوفان الماء الرعيب في خبء بين الأصابع، فيغدو حينئذ رهن إشارتها، وهكذا غدت أنهار الأرض بين أصابع الصغير أيمن، فأرسلها طوفاناً يحدّث:

عن قمر تشتبك الأشجار على دمه المنسيّ
فيسقط في النسيانْ
عن طفل
يركض خلف فراشته
وعن الخنجر في أقصَى الوديانْ
يحدّث عن قمر ساحر تُسامقُ أغصان الأشجار إليه، فتشتبك حوله، تحيط به وبدمه المنسي، فيبعد ويبعد في العالم المتحضر عالم النسيان: عالم الطّفل وحقوق الإنسان.

فعالم النسيان الخادع حيث الخنجر في أقاصي وديان (رعاة البقر) نَفَرَ منه الصغير إلى براءة الطفولة الكامنة في فراشة يركض يلهث خلفها، فيرصده ضَرْبٌ من العصافير غريب:

في الأفق عصافيرُ معاديةٌ
في الأفق طيورٌ سودْ
في الأفق دمٌ ورعودْ

فلم يجد الصغير سوى فراشته البيضاء ليبعد شرّ ما يرصده في الأفق:

امتشق الطفلُ فراشته البيضاءْ
صوّب نحوَ الطائرة الأولى
فأصيبْ
صوّب نحو الشمس فلم تسقطْ
صوّب نحو البحر فلم يسقطْ
صوّب نحو الأرضِ
فماتْ!

فالصغير لم يجد سوى براءة الطفولة ليدفع عنه الطائرة الأولى، فامشتق فراشته البيضاء، فدفع بسلاحه إليها؛ ولكنّها صبّت جام حقدها عليه.

ولك أن تسرح هنا في فراشة الصغير البيضاء، وهي تطلب أعتى طائرات الحرب، والطائرة تناور الفراشة الصغيرة، ثم تلقي بسعير حقدها عليها!!

ثم لك أن تسرح بعدُ في الصغير وهو يمتشق فراشته البيضاء نحو الشمس شمس غزة، غير أن شمسها لم تسقط، فالتفت إلى البحر بحر غزّة، ولكنه هو الآخر لم يسقط..

وحينئذ استجمعت الفراشة كلّ قواها وتوجّهت إلى الأرض حيث يكمن عتاد يهود وسلاحه العاتي، فنال من الفراشة فلفظت أنفاسها الأخيرة...

وانتهى خبر أيمن إلى الشجرات فاستطال منها النّحيب، على حين أنّ (السّروة) أسرّت بكاءها، بينما أفشى (النرجس) بكاءه في السّاحات!!

وهنا تبدو المفارقة في المشهد، فكيف استقام لسروة أن تسرّ بكاءها، والسّرو عادةً يباهي الجبال والسهول والوديان بجماله، على حين أن (النرجس) الحيي الخجول قد جهر في بكائه، فغدت الساحات جداولَ من سيل دموع؛ ففاضَ طوفانها إلى النهر الذي قرعَ أجراسه التي غار صوتها في غيابات النسيان وأغوار الأحلام:

بكت الشّجراتْ
بكت السّروة في السّرّ
بكى النّرجس في السّاحاتْ
قرع النهر الأجراس المنسيّة في الأحلامْ

وهكذا انتهى سيل الأشلاء من حقيبة الصغير المدرسيّة إلى الأرض، فزلزلت ومارت واضطربت فخالت الشهداءُ أن نفخة الصّور قد حضرت، فانكشفت منها القبور؛ فدرجتْ صدورُ الشّهداء تَمضي إلى أيمن فتحتفي بالصّغير؛ وتفسح مكانًا لحقيبته المدرسيّة في عبق الثرى فتشهده وهو ينام:

ارتدَت الأرضُ صدور الشهداء
وجاءت تشهدُ أيمن وهو ينامْ
ويسري خبر نوم الصغير إلى النّهر والبحر والعالم العربي:
ومشى النهر إليهْ
ومشى البحر إليهْ
ومشى الوطن العربيُّ إليهْ
ومشينا ثمَّ مشينا نحو خطاهْ
نحوَ خطاهْ

أجل! يا أيمن! هذا هو العالم العربي برمتّه يمشي نحوك، ونحن نمشي نحو خطاك التي كانت تمضي جنوبًا، تمزّق الحدود:

كان يفرّ جنوباً
يحمل جثته ويهاجرْ
نحو حدودٍ ترقدُ خلف حدودٍ ترقدُ خلفَ حدودْ
وسيعبر ورداً ودماً وصدورْ

واستجمع الصغير سيل أشلائه النازف؛ فغدا جنّة تطوف بكلّ ضروب الحدود، وبحقد الصّياصي، فهو يوم الطوفان، طوفان قدْ أقضّ المضاجع فعبَرَ عليها بصدره العاري النّازف مبتهجًا بظفره فينثر وردَ غزة وياسمين الشام...

(1) الشعر من قصيدة (أيمن) كتبها الشاعر اللبناني شوقي بزيع عام 1983م، وقد غنّاها مرسيل خليفة. والشاعر من مواليد جنوب لبنان عام 1951م، وقد حازَ جائزة شاعر عكاظ عام 2010م، وجائزة عويس الثقافية عام 2015م.

كتبها: د. خلدون صبح

هارون هاشم رشيد (شاعر غزة والعودة)

غزة التي بزَت الأعداء وغلبتهم. غزة التي غزت فعزَت وجاءت الصهاينة براً وبحراً وطيراً أبابيل، ومن شعرائها الأوائل هارون هاشم رشيد، فأحبها وكتب كتاباً فشخصها بعنوان (قصة مدينة غزة) لأنه أحبها وتربى فيها، وهو شاعر فلسطيني من مواليد حارة الزيتون، وهو من شعراء مواليد 1927 ممن أطلق عليهم شعراء النكبة أو شعراء العودة يمتاز شعره بروح الثورة والتمرد، ويُعد من أكثر الشعراء الفلسطينيين استعمالا لمفردات العودة والرجوع حتى أطلق عليه الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة لقب شاعر القرار أي قرار الأمم المتحدة حول حق العودة.

أصدر عشرين ديواناً شعرياً، وشغل منصب مندوب فلسطين المناوب بجامعة الدول العربية، وهو حاصل على وسام القدس للثقافة والفنون والآداب عام 2016، واختير كشخصية العام الثقافية من قبل وزارة الثقافة الفلسطينية عام 2014 وحائز على وسام القدس للعام 1990، ومن منا لا يردد قصيدته: (سنرجع يوماً) التي كتبها وغنتها فيروز ولحنها الأخوان رحباني، والقصيدة مليئة بألفاظ العودة والرجوع إلى فلسطين.

يكتب هارون هاشم رشيد الشعر الموزون المقفى، وجل شعره على شاكلة البيت التقليدي ذي الشطرين، ويمتاز شعره بروح التمرد والثورة ويعد شعره عفوياً صاحب لغة سهلة قريبة التناول مفهومة يسيرة غير معقدة.

يقول في قصيدته: سنرجع من ديوانه مع الغرباء 1954:

سنرجع يوماً إلى حيَنا	ونغرق في دافئات المنى
سنرجع مهما يمر الزمان	وتنأى المسافات ما بيننا
فيا قلب مهلاً، ولا ترتم	على درب عودتنا مُوهَنا
يعز علينا غدا أن تعود	رفوف الطيور ونحن هنا
سنرجع خبرني العندليب	غداة التقينا على منحنى

ومن القصائد المشهورة جداً والمغناة لهارون هاشم رشيد قصيدة (صرخة لاجئ)، وفيها يقول:

أنا لن أعيش مشرَدا	أنا لن أظل مقيَدا
أنا لي غدٌ وغداً سأز	حفُ ثائراً متمردا
أنا لن أخاف من العوا	صف وهي تجتاح المدى

ومن قصائده الجميلة التي تشعرنا أنه يعيش اليوم معنا ومع غزة قصيدة (القدس عربية) وفيها يقول:

يا قدس يا وطن النبيين الألى	حملوا إلى الدنيا الضياء وبشروا

ومن الألقاب التي أطلقت عليه شيخ شعراء فلسطين.

ومن كتبه قصة مدينة غزة، ومع الغرباء، وطيور الجنة، وقصائد الشهداء، وأحبك يا قدس.

وقد توفي في كندا عن عمر جاوز 93 عاماً وغزة وفلسطين في قلبه وكيانه وترك لنا أدباً خالداً تردده الأجيال في ألحانه وكلماته وشعره المؤثر، ويبقى شاعر غزة والعودة.

الجمال.. و قوافل التساؤل

كتب: رائد خليل

بعيداً عن القصدية (الموقف المكون للفكر)، تقودنا سيمائية الفن إلى فتح بوابات اللامحدود بمفاتيح التعبير الجمالي والدلالي.. ولأنّ «الجمال هو علم الحقيقة البديهية»، لا يمكن كشف العلاقات في بنية النص الفني دون الولوج في أبعاد العلامات، التي تشكّل نسقاً مهماً استدلالياً مربوطاً بالتنبؤ الشعوري مع المدرك البصري معاً.

مرجعية الاصطلاحات وحمولاتها، تبقى حبيسة الرهانات على قدرة النظرة التقليدية، وهذا ما جعل السيميائيّين ينبشون خفايا السمات ويستنبطون القول السردي ضمن بناء منطقي، ترتبط الفنون عادة بعلامات تتقاطع في مشتركات لفظية.. ولكنْ تختلف توصيفات القراءة بحسب الخصائص، وترتيب العناصر وأبحاثها بعيداً عن ترادفية المعنى المشترك.

هذا المفهوم ما هو إلا قراءة لإلغاء أحادية النظرة «المقولبة» وترك التأويل كي يفرد أجنحته بعيداً عن معيارية النقد ومغاليقه، إذاً، (الاستاطيقا: علم الجمال) عنوان إشكالي يأخذ قوافل التساؤل إلى فجر متعدد الاحتمالات، هي الدلالة المتوالدة، إذ تسبقك النية الاستقرائية للولوج في جوهر الغرابة وازدواجية الرؤى.. ولعل القارئ سيقف بين جغرافيتين تنتميان لحالتين من البوح والتفاعل معاً..! يشكّل العنوان الجمالي قولاً فنياً فلسفياً مغايراً في التلقي والتعاطي.. وقد نعلّق في جيد كل حالة جرساً لينبّه الوعي كي يستفز ما فينا دون ترك باب التشتت مواربا. يقدّم الفنان عادة لنا لوحته حيناً على طبق من فضة الكلام متعمداً.. لكي نمسك بخيط التأمل في أحايين كثيرة، وتتجلى بعض الحالات بالتلقائية والانسيابية التي لا تخلو من الموسيقا المرسومة ليعيد السياق إلى سكة الصياغة بكل مكنوناتها المبنية على دقائق الأمور.. وبلاغة التوجس في أقصى قلقه، فالاشتغال الجمالي ما هو سوى تجليات حسية نفسية تترك للمتلقي حرية التأمل والوقوف على ناصية المعرفة، والإشباع النصي في القول والتعبير، مكّن صداقة الذاتي بكل انفعالاتها مع الآخر المخاطب دون نسيان عامل الزمن، ففيه المبتدأ أي الومضة الخلاقة إلى خبر معلن جريء لا يخلو من التمرد على النفي أولاً وعلى ما تبقى من وجوه وانفعالات مسربلة بالحياة.

شجاعة المفردات الفنية تكمن في صراحة الفنان في إظهار المناسبة والغرض المبني على الوصال مع النفس أولاً من نافذة إعادة الاعتبار للجمال على مبدأ فلسفي يقول بإنتاج جديد للمرئي الذي أفقده بعضهم أهم عناوينه في التجريب والخلق دون تعشيق يسقط هيبة القول الأصيل.

هكذا يتمرد الفنان على واقع هش بوضع القارئ أمام خيار الجمال فقط.. مع إنصات لصوت الصفاء الذي يُخرج القلب كطير من قفص الضلوع ليعلن حرية السطور.. وكأنها مهاتفة للحظة القلقة.. تلك اللحظة التي فتحت معابر الشك.. (الكوجيتو)، إذاً، حرية فضفاضة تسيل على سطور البوح والقول الإبداعي كي تغزو مكامن الذات بترتيب بهي ودفق تخيلي.. فيه من كشوفات الآنية ما يشي بنفس أمّارة بالفتنة.

كثافة اللحظة تجعل مرابع الاحتفاء بالنص الفني شكلاً مكملاً لترميم المفهوم الطبولوجي(×) الذي يقطنه الفنان بكامل هيبة قلقه التي أفرزت عشرات الشذرات وأعطت لتضاريس الرؤى مجداً آخر بدلالات صادقة سامقة يتبجح بها الفنان علناً دون رسم متاهات لذلك، ومن هنا، تأتي اليوميات مغزولة برجفة فنان (على قلق) متألم يعاني نزفاً قاب ألفين ولون، وتستوقفنا إيقاعات الولع بالممكن.. إذ نرى في أغلب الأحيان إقحام مفردات ورموز جديدة تحتاج إلى شجاعة مدججة بالصوت.. فلا قيود في النصوص الفنية.. وهذا ما يجعل الفنان يستنبط الحفيف من أوراق رسائله الشفيفة.. ومن لحاء أشجاره الباسقة يُلبس الرسوم الفنية رقصة غجرية تبوح بسر النشوة الكامنة دهراً.. وهي في النهاية حصيلة عمر مملوء بالبوح والتلميح المجدي بأصالة مداه، ليس من الصعب أن يساهر الفنان الجمالي نجومه.. فربما يربط في جذع كل نجمة حبلاً يتسلقه في بوح سوريالي بعيداً عن الإبهار اللوني الجاذب، وكأن الغاية فقط هي استنباط واستنطاق البراكين الخامدة في الرغبة. التصاوير الفنية الجمالية (الاستاطيقية) أمينة ومعطاءة ومسربلة بهمهمات الثواني المأخوذة بالتجريب والحداثة التي يستطيع القارئ المتمرس أن يرسم دوافعها الذهنية بحرفنة ممسوسة بالمفاجأة، الاستاطيقا أو علم الجمال البديهي.. يبدأ بالدال والمدلول والثيمات المحمولة بالتواريخ كواقعة وملمح في زمن اللجوء إلى أحضان الرجفة التي خطت بعد زمن موائد في أعالي الحزن والنجوى، ورسمت في ذروة الرغبة اشتعال الغمام بكل أطيافه اللونية.. إذاً، المنظور الجمالي يعدّ تخليداً للدلالة بكل رحابة صدر.. ومن هنا، يجيء الجمال مزهواً وتواقاً للغوص في لجّة الصدى وحوار التجليات.

(×) علم دراسة مكان ما بغض النظر عن حجمه وشكله وصفاته الخارجية، أي يمكن أن يحصل على تركيب المربع من المثلث والعكس، أي يمكن تسمية ذلك بالهندسة المطاطيّة.

الفكرة سيف العقل والكلمة وجه الروح

كتب: سُهيل الشعار

نصوص قصيرة

الفكرة سيف العقل، والكلمة وجه الروح وصورة القلب واللسان، (ومَن يعرف أين ومتى يتكلّم، قد يعرف أيضاً أين ومتى ينبغي عليه أن يتوقّف عن الكلام).

إن الكلمات الساحرة، هي تلك الكلمات المحمّلة بشحنة وطاقة روحية كبيرة، تخبّئ بين أنوارها أفكاراً ذات معنى، ورموزاً ذات مغزى.

ومهمة الكلمات أن يكون لها رسالة..

قد يكون لها هدف ظاهر، أو هدف باطن، وعلى قدر علم المرء وثقافته تُفهم الرسائل وتفسّر المعاني.

وما أقلّ الذين يصلون إلى النبع على الرغم من وعورة الطريق وكثرة العقارب والأفاعي من حوله.. وما أكثر الذين يتجمّعون مصفّقين، مُهلّلين للسواقي الضحلة وللمستنقعات الآسنة.

يُقال:

إن النحلة لا يمكن أن تسمّى نحلة إذا لم تحمل في نهاية جسدها شوكة، فهي تعطي العسل من جهة، وتلدغ من يضايقها ويعتدي على حرمتها وكرامتها من جهة أخرى.

وهكذا هي الكلمات الساحرة والمفيدة، الصادقة والفاعلة، الباحثة عن الحق والحقيقة والعدل والحرية والمساواة، والمحروسة والمُصانة بمعانيها العميقة ورموزها ودلالاتها البعيدة، طعمها لذيذ ورائحتها منعشة، لكنها إذا لامست آذاناً لا تعرف قيمتها وتقدّر وزنها، لدغتْ سامعها من حيث لا يدري، وسبّبت له جراحاً وآلاماً وكسوراً لا تُجبر أو تلتئم بسهولة.

وقد يمضي بعض الناس أعمارهم متألمين من كلمة جارحة، وعبارة لئيمة، كانت قد كسرت خواطرهم ذات يوم.

2 - كشجرة مثمرة.. ونهر عذب..

إن الكلمات الرائعة، والأفكار الجميلة التي تحملها تلك الكلمات ستبقى ضائعة وشاردة دون راع يرعاها ما لم يمسكها القلم ويرسمها فوق الورق..

لا يمكننا أن نتخيّل مبدعاً دون قلم في يده، وورقة أمامه، أو فيلسوفاً أو مفكراً بقادر على الاستغناء عن ذاك السيف الصغير الذي يدعونه قلماً، وتلك الدرع البيضاء التي يسمّونها ورقة.

إن أقلام المبدعين كالأشجار المثمرة، وكالشمس المشرقة، وكالقمر له نور، وكالسيف له حد، وكالحصان له عنان، وكالبحر له موج، وكالإنسان له شرف وكرامة، والشعوب التي تحترم أقلام مبدعيها تنهض وترتقي وتصنع حضارة وتاريخاً.

القلم سيف، باستطاعة أي إنسان حمله، لكن لا يخدم الجميع في كل وقت، فحمله سهل، واستعماله صعب وخطر، فهو (بيد السّفيه كالخنجر بيد طفل)، وبيد الحكيم كشجرة مثمرة، ونهر عذب.

3 - كانوا صغاراً

كان الديك قد مرّ بالبيضة قبل أن يخرج ويصبح صوصاً، ثم يعلن بصوته وصياحه بعد سنوات أنه صار ديكاً..

والأنهار العظيمة كانت جداول قبل أن تصبح أنهاراً تملأ قيعان البحار والمحيطات.

وكانت الشجرة ذات يوم بذرة صغيرة قبل أن تصبح شجرة عملاقة.. ومن جهة أخرى، نلاحظ أن الكثير من الأدباء والفنانين والشعراء ينزعجون (ويتزعفلون) عندما تذكّرهم أنهم كانوا صغاراً، وأغصان طريّة ذات يوم!

4 - مملكة الإبداع

إن مملكة الإبداع لها باب سحري لا ينفتح إلا بمفاتيح المبدعين، والمفتاح بيد المبدع يتحوّل إلى ذهب يفتح به مناجم اللؤلؤ والياقوت، ويبقى بيد الجاهل مفتاحاً من حديد أو تنك رخيص!

ورؤوس أقلام المبدعين عيون لا تَرى إلا إذا أدمعت فوق بياض الورق.. مثلها مثل الجمر الذي كلّما اشتدّت العتمة من حوله ازداد توهُّجاً ولمعاناً..

وما أشبه القلم الشّريف بنحلة تجمع رحيق الورد، ولا تُعطي إلا العسل!

يقال:

(للعاقل عينان.. وللجاهل تجويفان!)

5 - السّهل والصّعب

تبدو لنا الجبال من بعيد ملساء..

وقد يبدو لنا ويتبادر إلى أذهاننا أن صعودها سهل كرؤيتها من بعيد.. لكن الاقتراب منها صعب.. وتسلّقها خطر.

وهكذا هو كل إبداع عظيم..

قد يبدو للناظر إليه سهل المنال..

لكن النظر شيء، والعمل شيءٌ آخر..

6 - صمت الحكمة

تنمو الأشجار بصمت وهدوء، متحمّلة البرد والصقيع وفؤوس وسيوف الحطّابين، وتشقّ الوردة الأرض الصلبة وتخرج بهدوء إلى الضوء، رافعة رأسها نحو السماء، متجهة دوماً نحو الشمس، وتحمل الغيوم المطر والثلج، وتمدّنا النجوم بضوئها، والشمس بحرارتها، كلّ ذلك يحدث دون أن نسمع من الأشجار والوردة والغيمة والنجمة أي همسة أو صوت!

جميل أن نقوم بأعمال مفيدة، ساحرة ومدهشة، ورائع أن تُبدع قلوبنا وعقولنا من خلال أيدينا لوحات وقصائد، إنما ما يزيد ذلك الجمال جمالاً، والسّحر سحراً، هو أن يرافقه الصمت والحكمة المزوجة بقلة الكلام، وكثرة العمل.

إن الصمت سمة من سمات العظماء العارفين، وإذا حدث وتكلّم أحدهم، فقد يُوجز كلام ساعة في دقيقة، فيجمع محصول سنة في يوم.

يُقال:

الزّوبعة القوية لا تأخذ بقوتّها من الجبال إلا الغبار، والصفير لا يصدر إلا عن كل شيء خاوٍ، وقامات بعضهم قد تكون عالية، لكن قيمتها منخفضة كأشجار الحور، مرتفعة في أجسادها، منخفضة في عطائها، تلعب فيها الريح فيصدر عنها الصّفير والشّخير لأنها عارية من الفائدة، فارغة من العطاء!

أبو شامة.. مؤرخ دمشق قبره في وسط دمشق مهجور

كتب: محمد عيد الخربوطلي

من المعروف أن دمشق قد عرفت الكثيرين من المؤرخين الذين خصوها بمصنفات كبيرة، أمثال الحافظ ابن عساكر وابن أبي أصيبعة وابن القلانسي وأبو زرعة وابن شداد وابن الأكفاني وأبو شامة، ومعظم هذه التواريخ ضاعت واندثرت وسرقت، ولم يبق إلا تاريخ ابن عساكر الذي جاء في ثمانين مجلداً، وقد اهتم كثيرون بقراءته وتدريسه واختصاره وتذييله، واشتهر مختصر ابن منظور وعبد القادر بدران... لكن قليلاً من الناس يعرفون أن المؤرخ الدمشقي (أبو شامة) قد اختصر تاريخ دمشق لابن عساكر مرتين..

المؤرخ أبو شامة : وأبو شامة هو شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، عرف بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر، أصله من القدس، لكنه ولد ونشأ وتوفي في دمشق التي عشقها، ولد في حي الفواخير عام 599هـ/ 1203م وطلب العلم بين ربوع دمشق وعلى يد علمائها فناق أقرانه وبذّهم، ثم بدأ يتوسع بالعلوم حتى صار عالماً موسوعياً، وكان من جملة أساتذته العز بن عبد السلام وعلم الدين السخاوي وابن الصلاح وغيرهم..

صار إماماً في كثير من العلوم مثل الفقه والتفسير وعلوم القرآن والقراءات، والخط واللغة والنحو والشعر، والفقه وأصوله، والحديث وفنونه، كما كان مؤرخاً ثبتاً، وقد ترك لنا في كل علم أتقنه عدة مؤلفات، لكن معظمها فُقد في حريق دمشق عام 803هـ، عندما أحرقها تيمورلنك، وكان من جملة ما أحرقه المدرسة العادلية التي أوقف أبو شامة مكتبته ومؤلفاته عليها... فذهبت طعاماً للنار مع غيرها من مكتبات دمشق.

ومن مؤلفاته مختصره لتاريخ دمشق لابن عساكر، اختصره في المرة الأولى بـ 15 مجلداً، وفي الثانية بـ 5 مجلدات، وله عدة كتب في التاريخ غير هذين المختصرين، أهمها الروضتان في أخبار الدولتين.

هذا المؤرخ العظيم الذي أبَرَّ دمشق فلم يغادرها، وصنف فيها الكتب الطويلة، الذي استلم عدة مناصب في كثير من مدارسها ورفض أن يأكل من أوقافها، فكان يتكسب من أرض كانت له فيزرعها بنفسه ويقوم بخدمتها ويأكل من ثمارها متعففاً عن مال الوقف، هذا المؤرخ العظيم ما زال قبره مهجوراً.

قبر أبي شامة : دفن أبو شامة قبلي مقبرة الدحداح بعد وفاته عام 665هـ/ 1267م، وأقيمت بجانب قبره الخانقاه النحاسية في العصر المملوكي، لكن قبره أهمل.. وهو في غرفة من غير سقف، مملوءة بالأتربة والأوساخ، وبجانب قبره رصيف لشارع مملوء بالأتربة ومخلفات ترميم البيوت.

فهل إذا قام المسؤولون عن الثقافة بدمشق بوضع قبة على قبره أسوة بغيره، أو أنهم سقفوا الغرفة وفتحوا لها باباً على الشارع، ليتعرف الناس على ابن دمشق الذي أرّخ لها وبرَّها..

هل هذا سيسيء لدمشق؟ أم إننا سنتيقن أن دمشق هي بحق عاصمة للثقافة العربية؟

فهي تبرُّ أبناءها وعلماءها ومؤرخيها، إن أمثاله عند باقي الأمم يصنعون من قبورهم محجّة، ومن بيوتهم متاحفَ، ويزينون شوارعهم بأسمائهم وتماثيل يضعونها لهم.

أما أن توضع قطعة رخامية صغيرة جداً لا تكاد تُرى، عليها اسمه وتاريخ ولادته ووفاته، فهذا لا يكفي، إن أبا شامة وأمثاله لهم حق علينا نحن أبناء دمشق.. نتمنى أن نردّه لهم... ولو بإزاحة الأوساخ عن قبورهم وتعريف الناس بهم وبما قدموه لدمشق...

قراءة في ديوان «حين يصبح العمر رحيلا» للشاعر «حيّان محمّد الحسن»

كتب: أبو الوفاء أحمد

قد يكثر الشوك، ولكن عندما يعلو هذا الشوكَ الكثيرُ من الورد يصبح للشوك مغزى، ويصبح للّوحة معنى، ويغدو الشعر ملكاً، ولو لم يكن موزوناً مقفّى...

هذا الديوان مليء بأحزان شائكة، غير أنّه مملوء أيضاً بالحب والأمل الجميل؛ ستٌّ وعشرون قصيدة يبحر فيها الشاعر حيّان محمّد الحسن، وقد تخلّى عن أشرعته القديمة، ولكنّه لم يتخلّ عن الشعر في جوهره أو وظيفته الأساس؛ وهي التعبير عن المشاعر بصدق وحساسية عالية، وصورة جذّابة وأنيقة.

وفي جميع قصائد الديوان نلحظ ذاتيةً يطغى فيها صوت (الأنا) على الـ (نحن)، ويظهر الميل إلى الرومانسية بكلّ ما تحمله من معان وبجمالية عالية.. قصائد أمينة في رصد التسامي النفسيّ والبحث المحموم عن هويّة ضائعة في وجود مكلوم:

- ها أنذا أقف عند كلّ المفارق
أبحث عن ذاتي التائهة
في دروب النسيان..

والشاعر يضجّ بالشكوى، ولا تثريبَ عليه، فهو ابن واقع مأساوي مؤلم تعيشه البلاد منذ سنين، فلا غرابة أن يعلو صوت الحزن قويّاً:

- ها هي الأيّام تمرّ
وأحزان نفسي باقية
بقاء الليل والنهار
تعتريني كآبة مزمنة
يقيّدني الخوف من شفتي...

لافتة هذه العبارة (يقيّدني الخوف من شفتي)، أنّها مشبعة بدلالات ألم دفين ورغبة عارمة بقول شيء لم يستطع الشاعر أن يقوله، وليس هناك أصعب على الشاعر من أن يحبس كلماته وهو البوّاح؛ إنّه في هذه اللحظة كمن يحمل أحزان العالم، يقول:

- والآن أجلس وحدي
سجين عتمة الجدران
ومطر العالم في أحداقي
جسدي مرميّ
فوق أنقاض أحزاني..

ويصل الحزن إلى منتهاه عندما يصبّ الشاعر نقمته على زمن يحمّله مسؤولية عذابه، وتحميل الزمن المسؤوليّة يعكس رغبة عارمة في خلاص يغيّر واقعاً، يكاد يكون من المستحيل تغييره:

- زمنٌ مسلوب الإرادة هزيل..

أمام هذا الحزن الكبير والعميق يبقى الحبّ الشفيف الراقي خلاصاً جميلاً ونبيلاً، فهنا – كما أسلفنا – الورد يعلو الشوك، وينفتح خيال الشاعر وقلبه على أفق لا يحدّ:

- دعيني يا سيّدتي
أعبر بزرقة عينيك
صمت الحياة وشجونها..

لطالما كانت المرأة المدخل الرئيس في الشعر، ولطالما كانت صديقة الشاعر الوفيّة، وجنّته الأثيرة:

- يبحر بي مركب الشوق
بأشرعة اللهفة
نحو شواطئك الآمنة
لترسو آهاتي
في ميناء عاطفتك اللامحدودة..

إنّ المرأة لا تكفّ أن تكون وطناً داخل وطن، والشاعر المغترب – سواء كان في غربة مكانيّة أو نفسية – فمآله أن يعود إلى ذلك الوطن المحبوب:

- عائدٌ إليك
يا غزالة المروج والسفوح
يا من أدمنتُ التسكّع
في زرقة عينيك..

والشاعر الحقّ لا بدّ أن يعبّر عن رؤيا، إنّه ملتزم بطريقة ما ملتزم بوحدة قيم الحقّ والخير والجمال، هذه الأقانيم الثلاثة تتّحد وتتماهى في نصّ الشاعر الرؤيوي، وهكذا هو الشاعر حيّان الحسن، إنّه يبحث حقّاً عن ذلك الأفق الجميل:

- فثمّة أحلامٌ في الأفق تنتظر..

ولكن، أيّة أحلام هي؟ ربّما هي أحلام المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) التي ملأت وجدان الشعراء والفلاسفة وكل أحرار العالم على مرّ الأيّام:

- منذ سنين
وانا أحلم بزمن يسوده الحبّ والوئام
نقيّ من شوائب البغض والحقد
زمن تطير فيه فراشات الحنين بحرّية
وتزقزق فيه عصافير العشق
دون أن ينتابها خوف
في قادمات الأيّام..

إنّ الشاعر في هذه الأسطر مؤمن بأعمق غايات البشرية وأنبلها، وهو يمضي في طموحه راجياً على حدّ قوله:

- اعتلاء حلم سماويّ
أعبر به نحوَ الخلاص..

وفي الختام، تبقى هذه الكلمات قراءة انطباعية أولى حاولتْ أن تقدّم فكرة عمّا ارتسم في أعماقي من أصداء وأنا أقرأ الديوان، وهو - الديوان - لا شكّ بحاجة إلى قراءة نقدية فنّية أوسع وأكثر عمقاً، وهذا ما يعوّل عليه في قادمات الأيّام...

والسلام.

مستهتر.. هل وردت في نص مأثور؟

كتب: د. رحيم هادي الشمخي

يقول شيخنا الحيّ الوقور أبو العلاء المعري:

وما أتوقى -والخطوب كثيرة
من الدهر- إلا أن يحلّ بي الهترُ

والهتر: ذهاب العقل من شيخوخة أو غمّ أو مرض، والهترُ: الباطل، والرجل هترٌ أي داهية، وتهاتر الرجلان أي ادعى كلاهما على الآخر باطلاً، وهاتره: شتمه بالباطل، وتهاترت الأقوال: تساقطت، أسقط بعضها بعضاً، وفي القاموس (أهتر فهو مهتر –بفتح التاء- شاذ، وقد قيل: أهتر –بالضم ولم يذكر الجوهري غيره وأهتر بالضم فهو مُهتر: أولع بالقول في الشيء، وهتره الكبر يهتره، وفيه أيضاً: المستهتر بكذا على ما لم يُسَمَّ فاعله).

وأهتر: خرف فهو مهتر وهي مهترة، وفي لسان العرب (وأما الاستهتار فهو الولوع بالشيء، والإفراط فيه، حتى كأنّه أهتر أيَّ خرف، وفيه أيضاً استهتر فلان فهو مستهتر إذا كان كثير الأباطيل)، ولم يرد الفعل استهتر ولا مستهتر في المعاجم التي بين أيدينا إلاّ مبنيّاً للمجهول، وعدم وجودهما في هذه المعاجم هو وحده حجة من يمنعون استعمال هاتين الكلمتين بالبناء للمعلوم، فلا يجيزون أن يقال كما يقول المحدثون: استهتر فلان، أو فلان مستهتر، وهذه الحجة- أن أصبحت لا تكفي وحدها لهذا المنع، لأن المعاجم المتداولة بيننا ليست كل المعاجم، ولأن المعاجم كلّها لم تستوعب كلّ ألفاظ اللّغة، والمرجع الأول والأعلى هو النصوص المأثورة، وما يشتقُّ منها، وما يُقاس عليها، فهل الكلمة التي يمنعونها وردت في نصٍّ مأثور؟

والجواب: نعم، ففي كتاب المفضليّات للضبيّ قصيدة للشاعر الجاهلي (عبدة بن الطيب) منها قوله:

إن الحوادث يحترمن وإنّما
عُمْرُ الفتى في أهله مستودع
يسعى ويجمع جاهداً مستهتراً
جداً، وليس بآكلٍ ما يجمع

وقد جاءت كلمة الاستهتار في لسان العرب أيضاً، وهي مصدر للفعل (استهتر) سواء بني للفاعل أم المفعول، فما الذي يحول دون بناء هذا الفعل للفاعل؟ يقول لسان العرب: إن الاستهتار الولوع بالشيء والإفراط فيه، فإذا تدرجنا في التصريف جاز أن نقول (استهتر) فلان بالشيء، أي ولع به ولعاً وولوعاً واستخف فهو مستهتر به، كما جاز أن نقول (استُهتر) به أي ولع به بالبناء للمجهول، ومن هنا يتضح جواب (استُهتِر) و(مُستهتر) وعلاقته بالنص المأثور.

الاستشراق بين العجائبية والجاسوسية

كتبها: عيد الدرويش

الاستشراق ظاهرة بدأت في نهاية القرن الثامن عشر في الغرب، هدفها ومسعاها الاطلاع على مضامين الشرق وحضارته، والبحث في مفردات حياته وخصائصه، لما للشرق من سحر أخاذ من حيث الجغرافيا والتراث واللغات والثقافات، دفعت الغرب لدراسته بكل مضامين الاطلاع والتحليل والتركيب، ولم يقتصر على جانب واحد دون آخر، وأخذ مجالاً واسعاً وكبيراً في استلهام الفنانين التشكيليين تفاصيل الحياة في لوحاتهم، فنقلوا للغرب صورة كاملة عن الشرق، كما عرفوا نقاط الضعف ونقاط القوة لديهم، والكنوز الهائلة والساحرة، وخيرات وموارد البلاد الهائلة في جوف الأرض وما فوقها، تزامن مع حالة الشرق الذي يعيش حالة تفكك وتشرد وتخلف، فكل هذه العوامل فتحت شهية الغرب للسيطرة عليه، واستثمار خيراته، والعمل على الحفاظ على تجهيل المجتمع العربي بشكل خاص، والمجتمع الشرقي بشكل عام، من خلال الحروب وزرع أفكار جديدة مغايرة لما وجدوا في تراث وثقافة ذلك الشرق، وتفكيك منظومته الفكرية والثقافية والقيمية، من خلال المدارس التبشيرية على روادها الأوائل "جون ديوي" و"أوغستيان بيرك" في علم الاجتماع، فانتقلت من الدراسة العجائبية إلى الدراسة المنهجية والعلمية، والجاسوسية قام بها الكثيرون منهم، وقد جاؤوا بلباس المستشرقين وحب الاطلاع، للتعرف على واقع الشرق، للعمل بكل سهولة ويسر، للإمساك بالحقائق والتحول إلى دراسة جاسوسية منظمة، ومساعدة حكوماتهم، في وضع خطط وبرامج ومشاريع طويلة الأمد، للتمكن من السيطرة الكاملة على الشرق، وإن اقتضى الحال باعتناق بعضهم الدين الإسلامي، من أجل التحكم بمصير الشعوب، والتمكن في السيطرة عليها، فقد استطاع الغرب من خلال ظاهرة الاستشراق الاطلاع الكامل على تفاصيل معرفية دقيقة في حياة المجتمعات الشرقية، التي كانت تعيش حالة غربة عن المشهد الحضاري، بعد أن انهكتهم الحروب وما خلفته من دمار وتشرد. كانت تلك الأسباب قد سهلت الطريق أمام الغرب للسيطرة على الشرق وثرواته وتراثه، بصيغ مختلفة ومتباينة بين الانتداب والوصاية والاحتلال، لإنجاز مشروعهم الاستشراقي، وما ورَّثوه للشرق سوى التجزئة والفوضى والتخلف والضعف، التي ينعم بها الشرق.

اليوم يعيش العالم في حالة سرعة وتسارع في نشر المعلومات، والكم الهائل من إنتاج التقنيات التي تسهل على الجميع على حد قول "شارل ماكلوهان"، وإن كثافة المبادلات الثقافية والعلمية بين مختلف الجهات دون توقف عند الحدود الجغرافية بين الدول والأيديولوجيات أو القوميات، واختلاط الواجبات الثقافية بين السالب والموجب، والكل ينشد ضالته، وتحقيق مصلحته، فهل يكون الاستشراق في أواخر تصفياته النهائية، وتسليم مهامه للشرق الواسع؟ بعد أن أعياه الفقر والتخلف والتبعية، أم أنه يعيش في مخاض سياسي عسير، سيعيد إنتاجه بما يتوافق مع معطيات العصر، ونحن نشهد الكثير من التطورات والتحولات الإقليمية والدولية، التي تعبر عن حالة تحول مركز القوة من الغرب إلى الشرق، في تعددية قطبية تسودها مجموعة من المعايير الإنسانية والقيمية، والشرق يمتلك الكثير منها التي تهدف إلى إقامة عالم متوازن، افتقده العالم لعشرات القرون، ولكن السؤال الذي يتبادر لذهن كل قارئ، أين نحن في هذا العالم في ظل المتغيرات؟ وهل نبقى تابعين لتلك التكتلات العالمية؟ وكل هذه التكتلات نحن الرائز الأكبر فيها بما نمتلك، ولكن تنقصنا سياسة التكامل الاقتصادي والسياسي فيما بيننا، لكي نحافظ على سيادتنا وعلى مقدراتنا، ونكون الرقم الصعب في الميزان الإقليمي والدولي، ونحن نمتلك كل أسباب القوة، ولكننا لا نعمل بها، والآخرون أقوياء بضعفنا، وإلا ما هو سبب هذا التدافع والحروب والصراعات على منطقة الشرق الأوسط؟ وأين نحن من هذا الكم الهائل من الإنجازات التي نراها من حولنا لتلك الشعوب؟ هل شاركنا - وإن كان بالنزر اليسير - أو لدينا بصمة في الميدان العلمي والحضاري في عصرنا الراهن؟ إننا نعيش على موائد الآخرين في الإبداع والاكتشاف والتطور التقني والمعلوماتية، وكأنّنا عاجزون عن تقديم وجبة علمية، أو معرفية، تثبت وجودنا الإنساني، فما زلنا ندور في حلقة مفرغة، ونتحدث أكثر مما ننجز، أما الآخرون فإنجازاتهم أكثر من أقوالهم، وكما جاء في التنزيل الحكيم "كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون".

صلاةٌ على مذهبِ العاشقين

قصة: عمر الحمود

1ـ مقطع من قصيدة سومرية:
الكلمة التي نطقا بها كانت توقاً
ومن بدء شجارهما
بانت شهوة الحبّ.
2ـ غزل فراتي:
يا الـ تمشي بيّ ويّا النبض
حِنْ وأنا أحِن
وروحي على روحك تنسحن
2ـ ترصيعة:
قلت لشيخي: لم أجدها.
قال: ابحثْ عنها ببصيرتك لا ببصرك، ولاتكن طريح الهواجس.
قلت: طريقي مظلمة ؟.
قال: اتخذْ من نفسك سراجاً، ومن قلبك دليلاً.
قلت: النفس أمّارة بالسوء، والقلب يقلّب.
قال: اخلع ضجيج الأرض عنهما تسمع أناشيد السماء.
قلت: الأرض مكان خُلقت من طينه، وفيه أعيش، ولي فيها مآرب أخرى.
قال: معظم الأنبياء تركوا المكان المحبوب لديهم، وهاجروا، فاسرجْ خيولَ الشوق إليها.
ومنذ ذاك، وأنا أسابق الزمن في الوصول إليها.
3ـ النص:
كثيرون راهنوا على اختلافنا.
وحين رآني (البعض) منهم حزيناً حدّ البكاء، جنح به الخيال، وأقسم لجماعته بأنّني سأقدّم رقبتي لسيف غوايتها، ولا مغيث يوقف نزيفي في واقعٍ تعيشه مدينة إن جاهرت فيها بحبي أُصلَب أو أُكفّر أو أُنبَذ.
وقهقهت الجماعة بسرور وملأت أصواتها كلّ الجهات، وتخيّلوها غزالة عطشى تنحدر من الحماد إلى نهر الفرات، وفي أول أشراكهم يوقعونها.
وشربوا نخب الانتصار والغنيمة.
سلوكهم ثوّر في مواجع قديمة، وأطلق العنان لحنيني، وراسلتها قائلاً: عودي إليّ، وخذي أفراحي واعطني أحزانك، وسأتفانى في حراسة أحلامك.
فأزهر الرضى في وجهها ورود جوري وعصافير فرح، وحوّلت المسافات بيني وبينها إلى برزخٍ ضيّق، وقالت بيقين العارفين: أنت أحلامي وسكني وانتمائي.
ورفعتُ شراعَ وصالٍ، وأبحرت في مركبِ سندباد مغامر، قطع البرزخ بيننا كبراقٍ من نور، ووصلت إليّ، مطيّبة بالعفاف، وبثوبٍ معرّقٍ بالقصبِ، وجبرتُ خاطرها بقولٍ كريم: ادخلي جنّتي، ولاخوف عليك، ولن تحزني.
رصد الوشاة ذلك، وعاضدوا الجماعة، وهم يحترقون شهوة ورغبة منها، ويرونها امرأة حيّة، والنساء أمامها دمى من شمع، ونثروا مافي كنانتهم، واختاروا أصلب عود فيها، وأرسلوه يسعى متخفياً بعباءة عابر سبيل، ولمحني أشرب قهوة الضحى معها على عطر من محبة وأغنية من فيروز ولون من الشمس، وأصغي لحديثها كطفلٍ يهوى الحكاية، وبين وقت وآخر يكتسي خدّاها بزهر الرمّان.
ظنّ أنني أجالس شبيهة لها، فأنعَمَ النظر، وتجهّم وجهه: إنّها هي، ولاشبيه لها!.
وارتدته خيبة صارخة كالفضيحة، وعرف أنّه كان كمن ينثر الرمل في الصحراء، وأنّ عواصف الخلاف بيننا جادت بغيمة شقراء هطلت قصائد شعرٍ، ولو سمعتها المدينة لعاد الربيع إليها، وأشرقت النضارة في وجوه العذارى.
وعاد إلى الجماعة ينشر أمامها الخبر: خلاف بينهما طواه النسيان، وكأنّه ماكان.
وقررت الجماعة بانفعال: سنرميهما بسهام مكرنا.
ولم تعكّر مرارة كيدها صفو محبتنا، فاندحرت خائبة، فقد ذادت عنّا مشاعر عديدة، يقودها شعورٌ هزّ قلوبنا برعشة فرح، وخلع قلوبهم برجفة وجع !.
ولإغاظتهم شبكتْ المرأة يدَها في يدي هامسة: أنا لكَ، وأنت لي.
وانطلقنا نتسوّق تذكارات صغيرة من سوق كان لهشام أميّة، وانعطفنا صوب الشمال، إلى شارع ذكّرنا اسمه بوقائع سيف الدولة مع الروم، وعلى يميننا قصر البنات، مهجع جوارٍ تدرّبن على فنون الكلام وعزف العود، ومحظيات جمعن الأناقة مع حُسْن المعشر وعذوبة المنطق، وينتظرن عودة الرشيد بعد غزوة يختال بأبّهة ملك وعزّة سلطان.
وعند جامع الرقة العتيق وقفنا، ومئذنته الفخار نادتنا بآذانٍ يخصّنا، وقناطره وأقواسه تعافت برؤيتنا، وبسقت أسواره أشجار نخل وشناشيل عراقية، واتسعت أبوابُه لدخولنا كأئمة من بغداد، أو طلبة علم من حرّان، فدخلنا على ندىً ونفحات قدسية، وغمرتنا حالةٌ من خشوعٍ وهيبة، وتلاوات على مذهب القراءات العشر وصلت أسماعَنا، وأطربتنا، وأسراب من حمام حامَ فوقنا، وتلوّن ريشه ببياض كنيسة مار سرجيوس في الرصافة، وغشيتنا طمأنينة، كفتنا ماأهمَّنا من أمور، فجثونا بعفوية، وتيممنا صعيداً طاهرًا، وفي باحة الجامع الواسعة صلينا صلاةً لاتشبه أيّ صلاة، قرأنا فيها آيات تلعن الطغاة والظلَمة الذين عاثوا فساداً في المدينة، وتبشّرهم بعذاب أليم، وحين فرغنا من الصلاة وجدنا أنّ الخلائق تصطفّ خلفنا صفّاً صفّاً، تصلي صلاتنا، فبقّينا في مصلانا ذاكرين أذكاراً يرتّلها أهل السماء، ويتغنّى بها شيوخ الطريقة في الأرض، وأريج ريحان شرح صدورنا، واخضلّ النهار، والملائكة حفّت الجامع من كلّ الجهات، وحلّقت بأجنحتها النورانية في حمد وتسبيح، وارتوت المدينة من رحيقٍ مكتوم، وانتشت في حالة وجدانية فريدة، وعاد إليها السلام، وزهَت فيها الحياة حورية خرجت من بركة تسنيم، ولسان حالها يقول: مدينة بلا محبّة مدينة ميتة.

القلب والكلب

قصة: سامر أنور الشمالي

عندما رأى أدهم الكلب تجمد مكانه، وسرعان ما عادت به الذاكرة إلى طفولته حينها تناول حجراً عن الطريق ليضرب الكلب الشارد الذي يتعقبه، ولكن الكلب لم يفر هارباً كما أمل، بل هرول نحوه غير عابئ بالأحجار التي رماه بها مجدداً، وغرس أنيابه الحادة في جسده الغض، ولولا انتباه بعض المارة وإسعافه إلى المشفى في الوقت المناسب لقضى نحبه، فقد تمزق لحمه، وبدأت جراحه بالنزف.

منذ ذلك اليوم وأدهم يخشى الكلاب، ويتجنبها، حتى بعدما صار شاباً ذا شارب يتباهى بتشذيبه والعناية به، فقد كان وسيماً، رغم آثار جراح قديمة على خده الأيسر، وهذا ما جعله يبغض الكلاب حتى الموت.

لكن عندما رأى تلك الفتاة تداعب كلبها بلطف، والأساور الملونة تخشخش في معصمها، شعر كم هذه الفتاة رقيقة المشاعر حتى تمنح ذلك الكلب التافه تلك العناية الفائقة، وعندما تأمل وجهها اقترب منها وقد نسي خوفه، وحين وقعت عيناه على عينيها العسليتين قرر الجلوس على المقعد المجاور غير عابئ بعواقب جرأته، ولما رآها تلتفت إليه قرر خوض المغامرة ولو دخل المشفى مرة أخرى، كلبك لطيف حاول أن يتمالك نفسه وهو يتحدث إليها، وعيناه على الكلب، فقد خشي أن يقفز صوبه ويعضّه على حين غرة، لهذا لم يخرج صوته من بين شفتيه، حتى إن الفتاة هزت برأسها مستفهمة، ونزلت خصلة من شعرها الناعم على جبينها العريض، فأعاد الكلام: يبدو أن هذا الكلب لطيف جداً.

اتسعت ابتسامة الفتاة وهي تزيح شعرها عن جبينها، وهذا ما شجعه على مواصلة الكلام، ولكنه لم يعرف عما يتحدث، فنطق بأول جملة خطرت في ذهنه: أرغب في تربية كلب، ولكن لا أعرف طريقة العناية به أستطيع مساعدتك قالت الفتاة بود، وأخذت تحدثه بشغف عن أنواع الكلاب ومميزاتها، وطريقة تربيتها، وعما يتمتع به بوبي من صفات جميلة.

منذ ذلك اليوم وأدهم يدخل الحديقة قبل غروب الشمس، كي لا يبدو أنه يتعقب ريم التي سحرته كما لم تفعل أي امرأة من قبل.

وأخبرته ريم أنه يجب تنزيه الكلب كل يوم في المساء لأنه سيشعر بالضجر إذا بقي محبوساً في البيت طوال اليوم، وهذا ما جعله يقدر رهافة إحساسها، ويفكر في نفسه:

- كم هي فتاة رقيقة.. إنها تفكر بأحاسيس الكلب.. فكيف الحال عندما تعرف أنني وقعت في غرامها منذ النظرة الأولى.

كان أدهم كعادته يصطحب كتاباً ليقرأ في الحديقة بجوار الأشجار، فهو مغرم بقراءة الروايات العاطفية منذ يفاعته، ولكن لم تعد تثير اهتمامه بعد رؤية ريم، وأخذ يشتري كتباً عن الكلاب ليجيد التحدث معها، وهي بالفعل كانت لا تمل من الحديث عن الكلاب عامة، وبوبي بشكل خاص، وذات مرة أخبرته:

- إذا رآني بوبي أداعب كلباً سواه يشعر بالغيرة، وتصبح نظراته منكسرة وحزينة.

عندها نظر إلى بوبي بريبة، وقد خشي أن يدرك مشاعره الخفية نحو صاحبته، ويقضي عليه، ولكن سرعان ما نسي أمر الكلب، وأخذ يفكر في ريم التي شغلته عن نفسه:

- ماذا ستقول عندما تعرف أنني أشعر بالغيرة من بوبي؟ ولكن يا ترى لماذا لا تشعر بي كما تشعر بالكلاب؟

بتكرار اللقاء اليومي في الحديقة العامة توثقت عُرى الألفة بين أدهم وريم، وتعدى الأمر إلى أنه بدأ يسير بجوارها وهي تنزه بوبي، أو في طريقها إلى منزلها، ثم أخذ ينتظرها في الشارع ليرافقها إلى الحديقة.

كان أدهم يكره الكلاب وملمسها، ولكن من أجل ريم أخذ يدنو من بوبي، بل يأخذ اللجام عنها كي لا تشعر يدها الغضّة بالتعب.

وتطور الأمر إلى أنه لم يعد يأنف من مداعبة فرو بوبي بيده، وذلك لأن أنامل محبوبته مرت على المكان نفسه، بل كان يقبل رأس بوبي دون أن يشعر برائحة الكلاب التي يكرهها وينفر منها، بل برائحة العطر الزكي الذي تضعه معشوقته، وأقبل على شراء الطعام لبوبي، ومنذ ذلك الحين أخذ بوبي ينبح بسرور كلما رآه، ويركض نحوه ليتمسح بقدميه، وهذا ما كان يضحك ريم، فتقول بسرور: بوبي يحبك فكان يبتسم لفتاته وقلبه يرتجف من شدة الوجد بها، والخوف من كلبها، ويقول في نفسه:

- متى تحبينني أنتِ؟

عندما اتصلت ريم للمرة الأولى بأدهم وطلبت منه انتظارها في الحديقة شعر أنها بحاجة إليه حقاً، وأن هذه الفرصة مناسبة كي يعترف بحبه لها وقد طالت أيام التردد.

فذهب إلى الحلاق وقص شعره، واشترى ثياباً جديدة، وهدية ثمينة لريم بكل ما لديه من مال، ولم ينس شراء الطعام لبوبي، وعندما جلس إليها قالت له: أنت أغلى إنسان عندي لهذا سأأتمنك على أغلى ما لدي، شعر بالسرور لأنها تتحدث عن قلبها الذي ستودعه لديه، ورجح أنها ستعترف بحبها له بعدما أعياها خجله، وعندما رأى دمعتها تنزل على خدها قال بهلع: ثقي بأنني لن أخذلك وسأكون عند حسن ظنك بي.

مسحت دموعها، وقالت: لولا ثقتي بك ما اخترتك دون من أعرفهم لهذا الأمر.

ولم يتوقع أن تضيف: سأودع بوبي عندك.. لأنه يحبك وأنت تحبه.

رغم كرهه للكلاب شعر بسرور غامر، فقد تأكد له أن ريم تكن له مشاعر الحب الصادق، ولولا ذلك لم توكل إليه هذه المهمة الخطرة، فهتف بسرور أنساه كيف سيعيش مع كلب في منزل واحد؟

- بكل سرور!

وسرعان ما خطر له سؤالها عن أسباب التخلي عن بوبي وهو الكلب الغالي على قلبها، ولكنه وجد أنه سؤال غير مناسب، وخشي ظنها به أنه لا يرحب بكلبها، ولا سيما أنها اختارته دون سواه لكي تضع الكلب عنده.

وكم شعر أدهم بالحسد من بوبي وهو يرى ريم تنحني عليه لتقبله، وتداعبه، وتضمه إلى صدرها، وضعت ريم لجام بوبي في يد أدهم، وهمست بصوت متعب: ربما لن أراكما لسنوات.. ولكنني سأتصل بك دائماً لأطمئن على بوبي، ستسافرين؟

تساءل أدهم بهلع، فهزت ريم رأسها بأسف، وقالت: إنه لا يحتمل أن يعيش في منزل واحد مع كلب.. وتابعت كلامها ضاحكة، وكأنها لم تذرف الدموع الغزيرة منذ دقائق قليلة:

- تخيل أنني سأتزوج من رجل لا يحب الكلاب!

تجاوزت ريم سور الحديقة، وبقي أدهم واقفاً وبيده لجام الكلب الذي يعوي منادياً صاحبته التي لم تلتفت إلى الخلف سوى مرة واحدة لتلوح بيدها للمرة الأخيرة، بينما اليد الأخرى تحمل الهدية، ثم اختفت بين زحام المارة.

عندها شعر أدهم كم هو وحيد في هذا العالم، ولم تعد قدماه قادرتين على حمله، فتهالك على المقعد، واحتضن بوبي وهو يبكي ويمسح وجهه بفروه الناعم، وشعر أن هذا الحيوان الضعيف هو كل ما تبقى لديه من أشياء جميلة على كوكب الأرض، لهذا أخذ يحدثه للمرة الأولى في حياته:

- لا تحزن يا حبيبي لأن ريم تركتنا.. ولكن نحن لن ننساها أبداً.

الرُّقعة!

قصة: غسان كامل ونوس

1

درسنا اليوم عن خطّ الرُّقعة.

قال الأستاذ المتجهّم، وبدأ يخطّ على السبّورة عبارة ما.

سمعتُ ضحكة مكتومة، حسب صاحبها أنّي لم أسمعها، فمدّ إصبعه ولكزني في خاصرتي اليمنى، وقال: هذا من أجلك يا سمير، أنت شاطر في هذا؛ فلديك عدد منها، مددتُ يدي المجاورة له إلى جنبي، والأخرى إلى كتفي، وضممت ساقيّ بانفعال، فأحسستُ أنّني أُشدُّ، وشعرت بالتمزّق؛ فأنا أحتاج إلى أكثر من يديّ لإخفاء الرقعات! طأطأتُ، فيما قهقهاته الخافتة تثقّب جسدي، وتطفئ روحي.

كان فرحان يسخر منّي مراراً، وقال يوماً: لديك "ضوّايات" كسيّارة جدّي، لكنّها غير متناظرة. كان قد ورد التناظر في الدرس قبل الفرصة، وكنت أقابل سخريّته غالباً بعدم اكتراث ظاهر، مع احتراق كامن، واجتهاد، يجعله يتوقّف إلى حين، عند كلّ علامة مذاكرة، أو تسميعة؛ كان هذا يعزّيني؛ إضافة إلى أنّني، لم أكن وحدي من يحمل دلالات الفقر هذه، التي لا يكاد يخلو منها تلميذ سواه.

لستُ "دقّة قديمة"؛ كما تقول زوجتي، التي نجحت أخيراً في ارتداء سروال ضيّق، بعد نكد، تطاول، بينما تتقاصر أثواب، وتزداد ضيقاً وشفافية على كائنات أخرى، لا تني تذكّرني بهنّ، وبأنّها لا تريد أن تكون مثلهنّ، وأنّ ما ترغب فيه، لا يؤثّر في الاحترام، الذي تلقاه أسرتنا الصغيرة، وقد بدأتُ بالتنازل، بعد أن أصبح ثلاثتهم؛ هي والصبيّ والبنت في موقف واحد؛ فحتّى لو ادّعيتُ أنّني حضاريّ، ووصلتُ إلى التصويت، فسأخسر بالديمقراطيّة، التي أحاضر فيها أمامهم، وفي أمكنة أخرى.

لستُ "دقّة قديمة"؛ كما يقول زملائي، الذين يطلبون النارجيلة في جلساتنا، ويقرقرون؛ كما كان يقرقر بطني من البرد والشحّ تلك الأيام؛ كأغلبيّة الزملاء، ومن يغالب تلك القرقرة قليلون؛ ببعض حبّات التمر؛ منتزعة من وعاء القشّ الواسع في الدكّان القريب؛ على حين يتباهى فرحان بمصّ قرون الحلوى الملوّنة، والراحة المحشوّة بالفستق؛ كما كان يرينا، ونحاول الانشغال عن كلّ ذلك، بالحركة والحكايا الدافئة، ريثما نعود إلى الغرفة الطينيّة المستأجرة الشبيهة بالبيت، الذي يحتوينا تحت سقف واحد، مع العنزة الشاميّة وذرّيتها المتجدّدة! تلك الغرفة، التي يكرّر فرحان شتمها، ويبالغ في نفض ثيابه من غبارها، وقد يساعده زملاء، أو يقومون بهذا عوضاً عنه، ونغتبط بوجودنا فيها، ويعبّر الأهل مراراً عن هذه الغبطة؛ فهي تشكّل إحدى غرفتَي مدرستنا الجديدة الأقرب؛ الإنجاز الرائد في المنطقة؛ حيث فشل والد فرحان في تكرار إنجاز والده؛ بإبعادها إلى قرية أخرى!

وأُكّد موقفي من هذه القارورة المتطاولة المزيّنة، كلّ مناسبة؛ على الرغم من رائحتها المطيّبة أحياناً؛ إنّها أسوأ من التدخين، الذي لا أستسيغه، ولا أطيق منظره؛ ولا سيّما، حين تكون امرأة؛ أيّة امرأة، تشرع سيجارتها، أو تقرقر! وهذا ما جعل الأصوات تتعالى ضدّي متّهمة مستنكرة، حتّى في البيت، الذي أحرص فيه على الحوار الهادئ، ومحاولات الإقناع بالتي هي أحسن، لدى مناقشة أيّ موضوع.

وأفكّر في نفسي: هل أنا حقّاً؛ كما يتّهمون؟ ولماذا عليّ تمثّل كلّ ما يستجدّ في هذا العالم؟ ومن الذي يستطيع إقناعي بأنّه تطوّر طبيعيّ ومنطقيّ ومفهوم؟ ومن يقنعني بأنّ عليّ الرضا والتمتّع بما يقرّره آخرون، في مكان ما من العالم؛ مظهراً وشكلاً ونوعاً، وأبدّله إلى ما تتطلّبه الموضة الأحدث؟ فتتشابه ربطات العنق لدى مَنْ يظهرون في مختلف قنوات التلفزة، وتتنافر ألوان الشعر، ويطول، أو يقصر؛ وتتطاول مقدّمات الأحذية، أو تختصر؛ تتعالى كعابها، أو تزحف...

"من الذي يفرض هذا الأمر، ويمارس الضغوط؛ لنقوم بتنفيذ ما يريد؟ حتّى إذا ما أردت أن تعاند، فستبحث طويلاً عن ضالّتك، التي ما يزال يحافظ على تفصيلها خيّاط مسنّ أو حذّاء تقليدي، أو بائع ذو بضاعة كاسدة!

وتقول لي لستَ "دقّة قديمة!""

بيد أنّ هذه التهشيمات، التي تخلّفها مخالب النمر وكائنات أخرى وأسنانها على الثياب، والفتحات غير منتظمة الأشكال، وغير متناظرة المواقع؛ مستورة برقعات، أو متروكة للهواء الطلق، ولأعين الفضوليّين والمتعجّبين، فتلك لعمري ما لا يمكن توقّعه أو تخيّله.

قال بعض أصحابي: والآن ماذا تقول؟ هي من عاداتك القديمة؛ لعلّك وصلت إلى البيت السرّيّ للموضة، وأقنعتهم بما كنت ترتدي؛ انتقاماً ربّما من فرحان، ستبحث عن حفيد الآغا، يجب أن تبحث عنه؛ لترى إن كانت بناته، اللاتي يسابقن الموضات، ويسبقنها أحياناً، يرتدين مثل تلك الرقع، أو تلك التمزّقات التي تُترك مستباحة للعيون المحدّقة والنسيم المشاكس! يمكنك أن تذكّره بما كان عليه الحال منذ نصف قرن أو يزيد، قد يضحك منك مجدّداً؛ لأنّك لا تلبس مثل هذه الألبسة، على الرغم من أنّ ولديك إصراراً على ذلك: هل تريدنا أن نصبح فرجة بردائنا الكتيم؛ كأصحاب الأفكار العاتمة؟ قال الشابّ، واستدركت الشابّة: عفواً يا أبي، نحن نقصد العيّنات المتطرّفة التي تظهر كثيراً هذه الأيّام، وتحاول فرض ظلاميّتها!

2

جدّي.. انظر، تدرّبت على خطّ الرقعة؛ كما طلبت المعلّمة.

نظرتَ إليه، تفرّست ببذلته الجديدة الممزّقة بحرفيّة مراهقة، ثمّ أمعنتَ في البعيد، وغرغرتْ عيناك بالدموع.

أحسنت يا جدّي، أنا فخور بالرقعة.

وضعت يدك على صدرك، كأنّك تذكّرت أمراً، تغافلت عنه، أو حاولت ذلك عبثاً؛ فاستدركتَ:

بتلك الرقعة!

لم تكن تظنّ أنّ الرقعة ستخترق حياتك؛ كما اخترقت جسدك، ووصلت إلى جوار قلبك! ضحكت بمرارة، حين قال الطبيب مداعباً: شراييـنك متضيّقة متضاغطة، تكاد تتمزّق، وتحتاج إلى رقعات؛ عفواً شبكات؛ ثلاث على الأقلّ؛ واستدرك: عليك أن تترك التدخين، والدسم، وتمارس الرياضة بجدّيّة.

تبسّمت زوجتك، قبل أن تغصّ، وداري الولدان وجهيهما.

قال بعض من عادني من أترابي ضاحكاً: أرأيت أنّك دقّة قديمة، وأنّك لا تستطيع معاندة الطبيعة والعصر والقدر؟ لم ينفعك كرهك للتدخين، وازدراؤك للقرقرة، وتعفّفك عن الدسم، والكحول؛ كما لم تحل الرياضة دون هذا؟

وقال فرحان حين جاءني باشّاً بكرش يسبقه: حتّى أنت يا سمير؟ لا أكاد أصدّق كلام الأطبّاء: فمن أين لكم؟ أقصد: أعرف عنك؛ أعني: سمعت أنّك مقتصد في طعامك، ولا تحبّ الموائد المزفّرة والولائم العامرة؛ ولست مثلي! لا تخف، قم على طولك، امشِ؛ هه على الرغم من أنّك تمشي، ولست مثلي؛ من مدخل البيت إلى السيّارة، ومن باب السيّارة إلى باب المكتب! على كلّ حال لا يهمّك؛ مارس حياتك كالناس العاديّين، الأمر بسيط، بعض الناس يقومون بمثل هذه العمليّات للزينة؛ في الوجه، أو العين، أو الشعر، حتّى في القلب، إي نعم، وضرب على كرشه البارز: سبقتُك من سنين، لكن ليس إلى كم رقعة بسيطة تدفع في الشراييـن؛ عمليّتي كانت غير شكل؛ فتحوا قلبي؛ محسوبك رقّعوا لي القلب من باطن ساقيّ هاتين! ولم تزرني؛ لعلّك لم تسمع، قدّرت ذلك، ولن أعاملك بعملك؛ هل ننسى أيّام المدرسة يا سمير؟

أغمضت عينيك وقد بتّ وحيداً:

لقد أدركتْك الرقعات، وتشبّثت بشراييـنك، واستأمنتْ داخلك؛ كما استأمَنْتَها على حياتك؛ ما تبقّى منها!

هل ستندم على ما فات، حين كنت تنفعل من ذكر الرقعة، حتّى في خطّ الرقعة؟

ولكن، ماذا يقصد المقاول الكبير؟

حتّى في هذه يا فرحان!

عذراً عمّي (غوغل)

قصة: توفيقة خضور

فتحتْ أمي باب الخمّ صباحاً، فخرجت دجاجاتها الأربعة، يتبخترن بخيلاء الملكات أمام ديكهنّ، الذي نفش ريشه معتدّاً بمكانته بينهنّ، ينقر واحدةً، ويعتلي أخرى لحظات، ثم يقفز عن ظهرها، ينفض جناحيه بكبرياء من قام بأمرٍ صباحي عظيم.. تفقّدت أمي الخمّ، فخرجت بثلاث بيضات، يفترشن راحتيها، حدّقت فيهنّ بعينٍ خبيرة، وهمست بأسى: الدجاجة العسلية لم تبض اليوم أيضاً، أجل.. لم تبض اليوم ولا أمس، فأنا أعرف بيضتها من بين الآلاف، لا بد أنها مريضة إذن..

اقتربتْ منها، حملتها بين يديها بأمومة لم أحظ بمثلها، رغم أني كنت في الخامسة عشرة يوم ذاك.. مسّدت ريشها العسليّ، تفرّست في عينيها، فأدركت أنها تعاني من مرض لا تعرف له دواءً، رمتني بنظرة دغدغت عظامي.. وضعتُ يدي على فمي لأخفي ضحكتي، فهي تعرف أني من يقف وراء حالة دجاجتها الحبيبة..

نعم.. أعترف بذلك، فأنا أكره تلك الدجاجة، أحقد عليها، فهي شريكتي في حضن أمي، وحبها وحنانها، بل لطالما رأيت أن لها حقّ الصدارة من عنايتها ورعايتها.. فكم ارتفع صوت احتجاجي رغماً عني: تفتحين باب الخم للاطمئنان على دجاجتك قبل أن تطمئني عليّ، وعلى أخي..؟

فتجيب بهدوء وثقة: الدجاجة تمنحني كل صباح بيضة، أما أنتِ فتريدين بيضة، أرأيت الفرق بينكما..؟

وتضحك من تذمري وغيرتي الخرقاء كما تُسمّيها، بينما أخبط الأرض بغضب قدميّ، وأنا أراها تراقب دجاجاتها بغبطة من تراقب مرح أطفالها ولهوهم..

حاولتُ اغتيال الدجاجة العسلية عدّة مرّات، فهي غريمتي، أمّا باقي سكان الخمّ، فهم خدمٌ وحشمٌ لها.. لكنّ محاولاتي باءت بالفشل، لأنها محاطة بعناية أمي المشدّدة.. احترتُ في أمري وأمرها، فاستشرت عمي (غوغل).. قلت له أنجدني أرجوك، فأنا أريد قتل دجاجة أمي العسلية، دون إيذاء باقي سكان الخمّ، فما السبيل إلى ذلك..؟

فقدّم لي عدّة نصائح، عملتُ بواحدة منها، وها هي الدجاجة الآن في حضن أمي، تُعاني الوهن، وقلّة الحيل.. تذرف أمي دمعةً بحجم حزنها، ثم ترفع بصرها ويديها نحو السماء، وتبتهل بقلب واجف، وشفتين راعشتين:

(رباه.. اشفِ دجاجتي الحبيبة، ونجّها ممّا هي فيه، وأقسم إنْ عادت لها صحّتها، لأذبحنّ تيساً يهدّ الجدار بقرنيه، وأوزّعه على أهل القرية.. يااارب تقبّل نذري يا أرحم الراحمين..)

في اليوم التالي باضت الدجاجة بيضة بصفارين، فاطمأن قلب أمي، وفاضت دموع فرحتها بنجاة حبيبتها، وترمّلتْ عنزتنا الوحيدة، بعدما ذُبح فحلها على يد كبير القرية الذي أشرف على توزيع لحمه على الجميع بالقسط، وطبخت أمي حصّتنا منه مع البصل والسمن البلديّ.. الرائحة الذكية عبّأت مسامات البيت وأرواحنا بالاشتهاء، لكنه اشتهاءٌ مكتوم، فنحن لا يحقّ لنا أن نأكل حتى يفرغ الكبير من طعامه، فتراني أكبس على بطني الضامر، وبطن أخي الصغير، وأقول له مطمئنة: اصبر قليلاً حبيبي، بعد قليل نأكل حتى نشبع، فالتيس تيسنا، لا تخف..

حمد الرجل الله، وشكره على نعمته، وهو يمسح فمه ويديه بمنديل يحتفظ به في جيبه الواسع، ثم طلب إليّ أن أناوله علبةً فارغةً ليحمل فيها اللحم المطبوخ لامرأته، فأم أحمد كما قال مريضة، ولحم النذور يُرمّم العظام..

وما أن غادر الدار، حتى هجمنا على المائدة بضراوة ذئاب أنهكها الجوع، وانتظار السبع لينتهي من طعامه.. فألفيناها أشلاءً.. بكيتُ، وبكى أخي ابن الخامسة، وهو يقول: ماما أريد قطعة لحم واحدة.. قطعة واحدة..

نقلت أمي بصرها الذبيح بين شحوب وجهه، وبين المائدة الخاوية، ابتلعت اختناقها، وقالت بما يشبه الحياء: حصّتك يا ماما أخذها.. أخذها (الـ....)

ملأت قهقهاتي الدامية أرجاء البيت، قبل أن أخرج غاضبة، وأُلقي القبض على الدجاجة العسلية، وبلحظة واحدة، وقبل أن تستوعب أمي ما يجري، كنت قد قطعت عنق دجاجتها، ورميتها في حضنها، وأنا أهدر:

عذراً عمّي (غوغل)، فالمباشرة أحياناً أسطع، وأنجع..

استيقظ فجأة مفزوعاً

شعر: كوثر سمعان

استيقظ مفزوعاً من حلمٍ غريب
خال النهارَ قد لاح وتأخَّر عن موعده
وقف أمام المرآة ليغسلّ عن وجهه آثار الفزع
فوجد في المرآة شخصاً آخر أمامه... بوجه مشوّه
يا إلهي.. ما الذي يحدث؟.. صرخ برعب وحاول أن يستنجد
بأخته النائمة ولما دخل غرفتها لم يجدها! بل وجد صورة
معلّقة على الجدار وقد وضع عليها شريطة سوداء
صرخ بأعلى صوته... لكن حتى أمه ليست هنا!
ركض إلى الباب لم يعرف ماذا يتصرف؟
طرق باب الجيران، وفتحت له جارته... لكن ماذا حدثَ؟ لمَ
تغيَّر شكلها وبدت أكبر عمراً مما كانت عليه قبل أن ينام؟
قال بصوت مرتجف: أرجوكِ أجيبيني ماذا يحدث؟
لكنها لم تتفوّه بكلمة بل عبست في وجهه وأغلقت الباب..
أعاد طرق الباب ولكن لا جدوى....
نزل إلى الشارع... يستنجدُ الناس... وفي لحظةٍ عاد شريط
حياته إلى ذاكرته... وأدرك وسط زحام السيارات أنه قد مات
منذ مدة طويلة وأنَّ روحه اليوم تحفُّ بالمكان وتحاول أن تتشبث
بالحياة مرة أخرى وهو الذي مات مع أخته بتفجير إرهابي!
وأن أمّه ماتتْ حزناً عليهما بعد مدّة.. عندها فقط توقّف عن
البحث والسؤال وعاد أدراجه إلى السرير وغطّ في نومٍ عميق..

×××

شهيٌّ أنتَ حدّ الثمالة
كقهوتي
كأغنيةٍ من أغاني الثمانينات
كوشاحٍ أصفرَ أرتديه يومَ اللقاء
كنبيذٍ معتّق ليلةَ سمرٍ مؤجّلة
رنين صوتك... أغنية على فم طفل بريء
ونايٌ حزين
أسمعُ الأنين... أنين روحي
وسطَ زحام الذكريات تلتهمك أفكاري
يتعشّق عطركَ فوق ردائي
يوم أهديتني سبعَ وردات.. ونجمتين
فأجدني أتوق للحظةٍ
كانت
وزالت
إلى حين رجعة... ذاتَ خريف... ذاتَ لقاء.

أنفاس الياسمينة

شعر: إبراهيم عباس ياسين

« الحياة لا تقاس بعدد الأنفاس التي
نأخذها، بل باللحظات التي تذهب فيها
أنفاسنا بعيداً».
- مايا أنجلو -

- 1 -
كل هذا الثراء..
كل هذا الدفء..
كل هذا الفرح والضوء والخصب..
عطر الليل الفاضح
وصوت الياسمين الخافت:
يولد من ربيع أنفاسك

- 2 -
أنفاسك في الصباح
مناديل مُبلّلة بأنسام الشوق،
وفي المساء
آهات نايات ووشوشات عصافير،
وفي آخر الليل أزهار ربيعية
تتفتح على وسادتي،
وتحرس أحلامي
«حتى مطلع الفجر»

- 3 -
كلما هبت عليّ أنفاسك
تتفتح آلاف الشموس في شراييني، وتدبّ
الحياة في سمّاعة الهاتف الباردة
حتى الشتاء.. حتى الشتاء القارس..
يصير أكثر دفئاً يا حبّي يا حبيبتي

- 4 -
كيف تستطيع أنفاسك
- أيتها الياسمينة العاشقة -
أن توقد الأغنيات المضيئة
في أقبية الليل الحالك
وأن تحمل كل قوافل الأزهار
ورسائل الأطيار المثقلة
بأناشيد الصباحات والنبض؟
وكيف يمكن لقصيدة
تولد من ربيع أنفاسك
أن تجترح كل هذه المعجزات
على الأرض؟

- 5 -
لا البحر في البعيد يتنهّد،
ولا الأرض تتنفّس ذات صباح ماطر
ليست همسات الليل هذه
ولا صلوات الفجر
لكنها.. لكنها تراتيل أنفاسك..
أيتها الياسمينة العاشقة!

على تقلباتِ الانتظارِ

شعر: عبد الأمير العبادي ـ العراق

في الشرقِ المحنطِ بغبارِ الأزمنةِ
أفترشُ الوريقاتِ المتناثرةَ
تغرقني المدوناتُ
أشغلُ العقلَ بقصصِ الحضارةِ
أتناثرُ هنا وهناكَ
قالوا حركةُ القلبِ ترسمُ المساراتِ
تراجعتُ منتصراً لزيفِ المدعينَ
أرسمُ الخرائطَ
أينَ منتهى الحدودِ
أتصوفُ
تارةً معَ البسطامي
أُفتشُ عن وهمِ الاتحادِ
أو أتقمصُ الحلولَ معَ الحلاجِ
أذهبُ لابن عربي
دُلَّني أيها الشيخُ عن وحدةِ الوجودِ
أبحثُ عن القاتلِ خالد القسري
عن بطشِ سيفهِ برقبةِ الجعدِ ابن درهم
أو عن ويلاتِ كليلةَ ودمنةَ
الباكيةِ عن ابن المقفع
ثم تأتي زمردةُ ابن الرواندي
تبشرني بحريةٍ أتيةٍ ذاتَ صباحٍ
يقظةً تكشفُ تفاهةَ المخاريقِ
آهٍ لكم كانَ تناسقُ عشقي مرهقاً
أصرخُ مع الريحِ أظلُ أصرخُ
متى أحطُ على بقاعٍ دونَ هويةٍ مجهولةٍ
في هذا الشرقِ المعتوهِ
شرقِ الزنازينِ وتنانيرِ الموتِ
شواءِ لحمِ الإنسانِ
يا لخديعةً نحنُ صناعٌ لها
تأتينا التراتبيةُ مزعومةً
إنها من وحيِ أحتضرَ مهزوماً
أنتكسَ من هولِ الخداعِ
تلبُّسُ الأثيرِ انصرفَ نائماً
مكسورَ العنقِ بوسادةِ الأوهامِ
أخلدُ في سكينةِ الهروبِ إلى الأنفاقِ
أحفرُ لي منافذَ أسرقُ الهواءَ النقيَّ وحدي
آهٍ من تأملاتٍ أفسدتها معاقلُ الهزيمةِ
أفسدتها المقاصلُ والحبالُ
قتلتها غصةُ قرونٍ رفيقها إبليسُ المغردُ
معَ أزمنةِ الخواءِ
ماذا لو جئتُ بطريقِ التجريدِ
طريقِ النبتاتِ، حتماً يرسمونَ لي تنانيرَ الموتِ
بصورِ الحداثةِ الجديدةِ

رحلت

شعر: كنينة دياب

ها قد رحلتْ
ما كنتُ أعرف أنّي سأرحل يوماً
لكنّي رحلتْ..
غيّرتُ عطري
صار النرجس يغويني
قصصت شعري
متاهات من الألوان
تُداهنُني وتُنسيني ..
استبدلتُ ملامحَ أحببْتَها
راوغتُها خاتلتُها ..
فصرتُ امرأة لا أعرفُها ..
وأنت لن تعرفها ..
كان ما بيننا مستحيلٌ وجميلُ
وها قد ترامى إلى المنتهى!!
كنتَ بارعاً
مُبدعاً ساحراً
في نسج كلمات فتنتني
ظننتُها لي وحدي ..
صحوتُ
تشعّبتُ ... تماهيتُ
حلّقتُ بعيداً
أرضكَ ما عادتْ تجذبني
كنتَ لي وطناً
وكنتُ لك دفئاً
وحناناً وأماناً ..
ما عاد لي وطن هنا
رحتُ في المدى
وطني صار بين السّحاب
وقسوة الغياب ...
تلك السّهوب في عينيك
غادرتُها
تلك الشّفاه تناسيتُها
وها قد اعتدتُ
النّسيان .. وغيابُها ..
صرتُ امرأة غريبة
امرأة لن تعرفها
ولن تعرف نفسها
بلاد جديدة وصلتُها ...
عالمٌ نسجتُ خيالات عنه
أقمتُ فيه
اشرأبَّ في عمق أوردتي
سأعتاده
وأعتاد غيابك
لن تخيب محاولاتي
فلا تفرح لخيباتي ..
ودّعتُك غيابياً
غادرت طوعاً شرنقتي
وها أنا الآن .. هناك
هنا .. في الجانب الظّليل
من الكون!
في كهف يضيق بروحي
يؤويني .. يحتويني
ينسلُّ في كل شراييني ...
لو مررت به يوماً
لا تقرأ فاتحة من أجلي
أخشى صلواتك تحييني ..

نص لم يكتمل

شعر: منذر يحيى عيسى

أيتها العاصفةُ
ترفقي بي قليلاً
أنا محاصرٌ بينَ جدرانكِ
أنتِ الآنَ بيتي...
أحلمُ في هذا البيتِ
بدفءٍ ولو عابرٍ
يجيءُ على راحتيكِ
وأنتِ تُداعبينَ
ناصيةَ الأشجارِ الشامخهْ .
كرياتُ دمي
تعيشُ فوضى
كحالِ أمواجِ بحرٍ
في قلقه العظيمْ...
هلْ تباركينَ هذه الخلايا النبيلةِ
لتعودَ إلى أنساقِها
كزوراقَ تحملُ اللهفةَ العظيمةَ
إلى الضفةِ المقابلةِ
وتعودَ وفي أحشائها
أجنّة اللهفةِ الموعودهْ...
أيتها العاصفةُ
أحتاجُ قليلاً راحتيكِ لأوسّدَ رأسي المثقلِ
بالبردِ وأشباحِ الخوفِ
المتربصةِ بي
في زوايا وقتي
كلصٍ ماهرٍ
أو كقاتلٍ يُنعشَهُ
طعمُ الدمْ...
أيتّها العاصفةُ
لترتفعَ جدرانكِ قليلاً
فأنتِ مسكني الآن
وحارسي الذي يشاركني صخبَ وقتي
المنتصبَ كمارِدٍ
أخافهُ وأحتمي بهِ
وأهربُ منهُ إليهْ...
أيتها العاصفةُ
أنتِ امتدادٌ لأزمنةٍ
أفلحتْ في عبورِ صحاريها
وأثقلتها الرمالُ
وقد أعادتْ تشكيلها
كما شاءتْ
وليسَ كما تشاءْ...
أيتها العاصفةُ
عندما تدخلُ
الطمأنينةُ أبهاءَ قلبي
سأمارسُ في محرابكِ
طقوساً
قد تكونُ لنهايةِ رحلتي
مرفأً أمناً
ومنبراً لإعلان إشارة البدءِ
أو الخلاصْ...

على ذاك الطّريقِ...

شعر: سميرة عيد

وتَصمُتُ إذْ تفيضُ بكَ الأماني
ويَسكن حيرتي مُرُّ الزَّمانِ
وبي وهَنٌ وآياتُ اختناقٍ
كأنَّكَ لمْ تكنْ يوماً جِناني
على ذاكَ الطّريقِ نسيتُ روحي
تنفَّسَ صبحُها شوقاً براني
أُداوي بالتّعلُّل جرحَ قلبي
وأَسكنُ وحدتي ممّا اعتراني
هيَ الأقدارُ تكتبُنا وإنَّا
نخبّئ خوفَنا تحتَ اللّسان
أيشفعُ صدقُنا إن جاءَ يومٌ
نعاقرُ بهجَةً هزّتْ كياني؟
أقولُ لخافقي مهلاً تدلّلْ
عساهُ الصّبُّ يرأفُ بالجَنانِ
وكانَ قُبيلَ ذاك يسوقُ حبراً
تندّى السّطرُ منْ عطر المعاني
وتلقينا القصائد كلّ شوقٍ
وترسُمُنا شموساً كلَّ آنِ
هو الشّعرُ المعطّرُ بالقوافي
يراود وَردُها خمرَ الدّنانِ
تُراني قد رشفْتُ الورد حتّى
خلعتُ قصائدي قبل الأوانِ!
وتقذفُني رياحُك إذْ أتتْني
على مَرجٍ يميسُ بأقحوانِ
وإنّي أحملُ التّرياقَ دمعي
فقد جارَ الزّمانُ بما رماني
ويسلبني بِعادُك جُلَّ ظلّي
أراك تفيءُ أشجارَ المغاني
توسّدْتَ الفؤادَ ولستَ ترضى
سوى العلياء يا عالي المكانِ

وقفات تضامنية مع الأهل في فلسطين

نظمت المكاتب الفرعية لاتحاد الكتاب العرب على امتداد جغرافية سورية الحبيبة وقفات تضامن مع صمود الأهل في فلسطين ومع عملية "طوفان الأقصى" التي أصابت أسطورة "إسرائيل" الأمنية والعسكرية والاستخبارية في مقتل، وفضحت هشاشة التحصينات والجدران التي أنشأتها لحماية نفسها .

وانطلاقاً من إيمان أعضاء الاتحاد بأن أبطال غزة اليوم يُثبتون أكثر من أي وقت مضى، وأن ارتكاب المزيد من العدوان والمجازر بحق الفلسطينيين، لن يخضع الشعب الفلسطيني، ولن يكسر إرادته، وسيبقى يناضل من أجل نيل حريته من الاحتلال، نظموا وقفاتهم التضامنية في جميع المحافظات السورية، معلنين أن الشعوب المقاومة تنتصر مهما طال الزمن، فالحق لا يموت، وعملية طوفان الأقصى هي فصل من ملحمة النضال العربي الفلسطيني ضد المحتل الصهيوني، وصفعة لكل من يحاول إغراق الأمة في مستنقع التطبيع.

كما أكد المشاركون أن غزّة التي تحولّت بيوتها ومشافيها إلى مقابر جماعية امتلأت بجثامين شهداء سقطوا على يد برابرة العصر ووحوش الكابوس الإسرائيلي، تقاوم نيابة عن الأمة كلها، وهي تستنهض همة كل إنسان ما زال يملك ضميراً حياً يرفض الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني الصابر والصامد.

كما أكدوا على أن كل دمعة ذرفتها عين أمّ شهيد في غزة ستستحيل صاعقةً تنزل على رؤس أعداء الله والإنسانية الذين تغوّلوا وباتوا وحوشاً لا يرويها إلا دم الأبرياء.

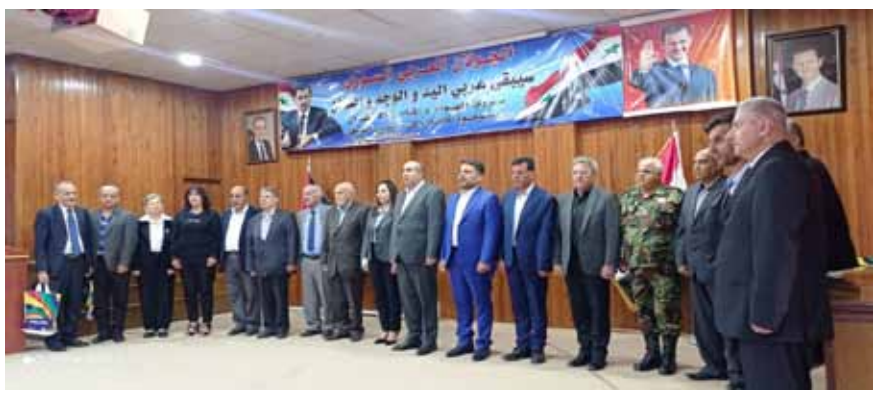

«من حرب تشرين إلى معركة طوفان الأقصى»..

بمشاركة شعبية ورسمية وإعلامية واسعة، وبمناسبة الذكرى الخمسين لحرب تشرين التحريرية ومعركة طوفان الأقصى، أقام اتحاد الكتاب العرب ورابطة المحاربين القدماء ندوة حملت عنوان «من حرب تشرين إلى معركة طوفان الأقصى»، وذلك ظهر الاثنين 2023/10/16 في مقر الاتحاد بالمزة.

استهلت الفعاليات التي أدارتها الأديبة هيلانة عطاالله بالوقوف دقيقة صمت إكراماً وإجلالاً لأرواح الشهداء، ثم بالنشيدين السوري والفلسطيني.

و خلال مشاركتها في فعاليات الندوة أشارت المحامية بشرى الخليل من لبنان إلى التوقيت الذي انطلق فيه «طوفان الأقصى» تزامناً ذكرى مع حرب تشرين التحريرية حيث جاءت معركة البطولة والانتصارات في غزة لتبشر باستمرار مسيرة النصر والتحرير والمقاومة.

وبين المحامي سميح خريس من الأردن أن الربط بين السادس من تشرين والسابع من تشرين بعد مرور أعوام طويلة هو من علائم الانتصار الذي يصنعه المقاومون الأحرار المصرون على حماية أرضهم وكرامتهم.

وأوضح القيادي في حركة الجهاد الإسلامي عبد العزيز المناوي أن كل من ينتمي إلى أرضه وهويته لا يمكن أن ينام على ضيم أو يتخلى عن كرامته وها نحن نتحرك باتجاه الحقيقة التي يجب أن تكون في عودة الأرض التي اغتصبها الكيان الصهيوني.

وبين العميد المتقاعد الطيار جريس صليبا أن حرب تشرين شهدت مشاركة الكثير من العرب، وهي غيرت الكثير من المعادلات ومهدت لاستمرار المقاومة وآخرها "طوفان الأقصى".

ولفت العميد المتقاعد عبد الغني الجبان إلى أنه عندما يتعنت العدو بسلوكه في القتل والاحتلال فلا بد من استمرار المقاومة والنضال بكل الوسائل لإعادة الحقوق والدفاع عن الوجود.

وقد أشار الدكتور محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب إلى أن "طوفان الأقصى" أثبت أن أبطال المقاومة في فلسطين أدّوا واجبهم تجاه أرضهم وشعبهم وأمّتهم، وأكّدُوا، للمرّة الأولى بعد حرب تشرين التحريرية، أنّ الكيان الصهيونيّ، بكُلّ ما يملكُهُ من قوّة ودعم وتطوُّر في السلاح المُتوافر بينَ أيدي جنوده، أضعفُ بكثير ممّا اعتقدنا، وأنّ إمكان الانتصار عليه واستعادة الأراضي المُحتلّة أقرب إلينا من حبل الوريد.

هذا وقد نظمت المكاتب الفرعية لاتحاد الكتاب العرب على امتداد جغرافية سورية الحبيبة وقفات تضامن مع صمود الأهل في فلسطين ومع عملية "طوفان الأقصى" التي أصابت أسطورة "إسرائيل" الأمنية والعسكرية والاستخبارية في مقتل، وفضحت هشاشة التحصينات والجدران التي أنشأتها لحماية نفسها وعزلها عن "الآخر" الفلسطيني المحاصر.

يُثبت أبطال غزة اليوم أكثر من أي وقت مضى أن ارتكاب المزيد من العدوان والمجازر بحق الفلسطينيين، لن يخضع الشعب الفلسطيني، ولن يكسر إرادته، وسيبقى يناضل من أجل نيل حريته من الاحتلال.

جائزة «الفارس الذهبي» للدكتور. إبراهيم إستنبولي

نال د. إبراهيم إستنبولي جائزة «الفارس الذهبي» عن نشاطه في ترجمة الأدب الروسي.

تمّ في موسكو يوم الأحد ١٥ أكتوبر الحالي توزيع جوائز "الفارس الذهبي"، وقد أقيمت الفعالية في المتحف المركزي التابع للبطريركية الأرثوذكسية الروسية في وسط العاصمة الروسية موسكو وبحضور وسائل الإعلام المرئي والمسموع وممثلين عن الصحافة...

تعريف بالجائزة:

جائزة "الفارس الذهبي" هي منتدى دولي شعاره: بالمحبة وبالوحدة سننجو!..

تأسست الجائزة عام ١٩٩٢ وكانت في البداية محصورة بالأفلام السينمائية وما يتعلق بهذا المجال... ثم توسعت الجائزة عام ٢٠١٢ لتشمل ميادين الأدب والفنون الخ...

ولذلك توجد لجنة تحكيم متخصصة في كل ميدان: في السينما وفي الفنون وفي الأدب الخ... وفي الأدب هناك أيضًا تقسيمات: تمنح الجائزة في الرواية والشعر وأدب الأطفال والعمل الثقافي والترجمة وفي الأدب الكنسي الخ...

يترأس المنتدى السلافي الدولي فنان الشعب وعضو مجلس الدوما نيكولاي بورلياييف وهو ممثل سوفياتي وروسي معروف قام بدور البطولة في أفلام كثيرة كما أنه كاتب ومخرج وناقد فني...

يعلن عن التقدم بعمل ما في وقت محدد من كل عام... وتقبل المشاركات من روسيا والدول الأجنبية... مثلا كان هناك فائزون من إسبانيا ومن صربيا ومن مولدوفا وغير ذلك...

يمكن أن تمنح شهادة الفارس الذهبي فقط ولكن من دون درع الجائزة... وأما الجائزة (شهادة تقدير مع درع الجائزة) فلا يحصل عليها سوى كبار المبدعين في مجال الكتابة الأدبية سواء كانت نثرا أو شعرا الخ...

سابقا كان يترأس لجنة التحكيم الأدبية الكاتب الروسي الكبير الراحل فالنتين راسبوتين المعروف برواياته الاجتماعية العميقة.... والآن يرأس اللجنة زميله فلاديمير كروبين وهو أحد أهم الكتاب الروس الذين يتناولون في أعمالهم الأدبية الحياة في القرية والإنسان البسيط الطيب والمؤمن...

وقفة حداد وتضامن.. وفعاليات أدبية ضمن اجتماع جمعية الشعر

على هامش الاجتماع الشهري لجمعية الشعر في اتحاد الكتاب العرب أقيمت وقفة حداد على أرواح شهداء الكلية الحربية ووقفة تضامن مع صمود عملية «طوفان الأقصى»، بحضور السادة أعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد استُهلت الفعاليات بالوقوف دقيقة صمت على أرواح شهداء الكلية الحربية وشهداء عملية «طوفان الأقصى»، ليرحب بعدها الشاعر توفيق أحمد نائب رئيس الاتحاد بالسادة الحضور، معبراً عن الحزن الذي أثقل كل القلوب وتوزع على كل الأمكنة لأنه الحزن الطاهر المتضوع كبرياءً رغم عمق الجراح، فشهداء الكلية الحربية وشهداء العزّة في فلسطين ارتقوا وسواعدهم مشرعة إلى مجد حماية الوطن وستبقى ذكراهم أكثر نصاعة من عمق البراري ونقاء الصحراء واتساع وجه البلاد، فهم أعين الأوطان التي لا تنام على ذلّ.

وفي كلمة له أشار الشاعر د. جهاد بكفلوني عضو المكتب التنفيذي إلى أنه بينما كان الأسى يمدّ وشاحه على كل بيت في سورية بعد الجريمة النكراء التي وقعت في الكلية الحربية حزناً على زهرات كنا نعدّها لتذود عن حرية الوطن وتحمي كرامته، امتدت يد المقاومة في غزة وفلسطين المحتلة تحاول أن تخفف من حجم ألمنا الكبير، ولم تكن العملية كما سمّاها أبطالها «طوفان الأقصى» فحسب، بل كانت عملية الصحوة العربية، والآمال معقودة على هذه النقلة النوعية في تاريخ الصّراع العربي الاسرائيلي، كما كانت حرب تشرين التحريرية التي نحتفل بذكراها الخمسين نقلة نوعيّة في تاريخ هذا الصراع. وتطرق إلى الاحتفال اليوم بمئوية قيثارة دمشق شاعر الكلمة المجنحة نزار قباني الذي عندما كتب قصيدة «أصبح عندي الآن بندقية» كان يتنبأ بما يجري اليوم ليستوحي منه هذه القصيدة العظيمة.

ثم قدم الأديب مصطفى صمودي قراءة في ديوان «ما وراء الضباب» للشاعرة لينا حمدان، مضيئاً على الموسيقا الشعرية الموارة في الديوان كألحان عازف كمان ماهر يخرج بعبقرية عزفه ما في جمال الآلة الخشبية من إبداع، ألحان تحس آن سماعها أنك تركب يختاً يقلك من طرطوس إلى جزيرة أرواد عبر بحر ساكن لا موج فيه، فمن يقرأ الديوان يتمنى أن يُعيد القراءة مرة ثانية وثالثة ليستعيد حلاوة قراءته الأولى له.

وفي قراءة ثانية حول الديوان أشار الشاعر إسماعيل ركاب إلى أن الشاعرة لينا حمدان شاعرة مبدعة لمّاحة متجذرة بتراب هذا الوطن كالسنديان تماماً، قريبة من المتلقي تعالج موضوعاتها بحرفية عالية وبجملة شعرية حساسة وذاتية ووجدانية وبعيدة عن التعقيد والتعمية، وقد أخذت موضوعة الوطن الحيز الأكبر من قصائد المجموعة.

في الختام قدمت د. ماجدة حمود مقاربة لكتاب «نزار قباني قيثارة دمشق» الذي توقف عند أهم إنجازات نزار قباني المتمثلة في اللغة الشعرية والمقدرة الإبداعية، فبات شاعراً ينطق بلسان العربي من المحيط إلى الخليج وقد أثقلته المآسي التي ما زالت تتناسل دون توقف، وكأن ما كان يقوله منذ أربعة عقود يصوّر عرب اليوم بلغة حرة تحضر في الأعماق ولا تقبل بالمهادنة.

كما أشارت د. ماجدة حمود إلى النفس الأصيل الذي يحتضنه الكتاب والذي يربط شعر الحداثة بالتراث، وأشادت بالدقة والأمانة العلمية في توثيق الكتاب.

الأسبوع الأدبي

12

العدد: «1839» الأحد

2023/10/22م - 7 ربيع الثاني 1445هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.محمد الحوراني
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ. توفيق أحمد

مديـر التحريـر:
د.خلدون صبح

أمينا التحرير:
عيد الدرويش، أوس أحمد أسعد

هيئة التحرير:
د.أسامة الحمود- أ.رائد خليل -
د.ماجدة حمود - د.نزار بريك هنيدي -
أ.هيلانة عطاالله

الإشراف الفني:
نضـال فهيم عيـسى

رئيس القسم الفني:
فاطمة الجابي

للنشر في الأسبوع الأدبي:
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني
alesboa2016@hotmail.com
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب (3230)
هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244 هاتف الاشتراكات 6117242
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
www.awu.sy
E-mail: alesboa2016@hotmail.com

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

كلمة أخيرة

شعر: توفيق أحمد

مَواقِدُها تمتلئُ بكستنائي

في اللحظات الأولى اعْتقَلني صوتُها في أقفاص عذوبتِها،
وصراخُ حنينٍ غائرٍ في أطواق شَعْرها
لمجهول قادمٍ سَيَلُمُّ طيشَهُ الأنيق.
ارْتَطَمَتْ أوقاتي بهذا الصوت
إلى أنْ جلسْنا في الصفِّ الأوّل من مقاعد ذلك المكان
القريب من ذلك النهر... وفي تلك المدينة
التي لها تاريخٌ محفوظٌ لنوادر العُشّاق..
أدركْتُ أنني ذاهبٌ إلى أغلالها
وأنا العاشقُ للحرية..
كنت أقولُ:
ربما نلتقي تحت سماء نَمدُّ أيدينا لنقطفَ نُجومَها
من اللافت أنها كانَتْ طقساً أنثوياً جمالياً باهراً...
كنتُ أقول لنفسي..
يجبُ أن تتأنّى في صياغة لوحات العناق..
ولنُعْطِ فرصةً لضفائرها أن ترتمي على كَتفي قليلاً...
كانت وما زالت لُغْزاً،
وكنتُ ما أزالُ جاهلاً كعادتي
بفكِّ رموز الألغاز الأولى للنساء...
حَلُمْتُ بأنّ مواقدَها ستَمْتَلئُ بكستنائي
وأنّ شموسَها ستُنير ظُلُماتي
وأن عصافيرَها سَتبني أعشاشَها على مساحات بيادري
بينما المسرحُ كان يَكتظُّ بشاغليه؛ كنتُ أرى وجهها
ينابيعَ للنبيذ..
يا لصعوبة المغامرة عندما يتَّحدُ الزُّهدُ مع الرغبات.
يالقساوة الحنين عندما تَرصُدُهُ الأقاويلُ الجاهلة.
يا لتَعب الخيارات عندما نكونُ طيّعين ورافضين..
وعندما نكونُ أبرياءَ ومستبدّين..
انتهت المسرحيةُ..
والأسئلةُ تجادلُ ذاتها..
هل كانت عيناها تُشْبهان الأملَ
كيف لي أن أقودَ خطاها لتدْخُلَ قاموسي..
وباعتباري ابنَ القرى المُحاطة بالجبال
فقد ولدتُ والعسلُ يملأُ أصابعي..
ولكنْ هل بقي منه شيء لتَشربَ منه
هل هناك من خبرٍ يُشيرُ
إلى ارتداء حُضْنها لعاشقها
إنه الحبُّ الذي تزرعهُ الحياةُ في النوافذ
والذي تَنْثُرُهُ للمساءات قُبَلاً على لقاءات العاشقين
أعتقدُ يا عزيزتي أنَّ النَّار لا تحتاجُ إلى كثير من الحطب..
وكان الزمنُ ذاهباً بنا إلى حريتنا
فإذا به يُقامرُ بها من جديد..
يبدو أننا سنتوجَّعُ وربّما نبكي
ويبدو أنّك الأكثرُ وجعاً وسعادةً
في وميضٍ يُبرقُ لك بأنْ تعالي إلى حدائق الأمير
المليئة بالكُتُب والسنونو والمُدْهش من الحكايات
ويبدو أيضاً أنّ موقفَك غيرَ المُعلَن
سيُزيلُ عنّا أتعابَنا
ويأخذُنا إلى جرارٍ مختلفة
مكتظّة بماء الصُّراخ للحُبِّ الواعد
هناكَ لا وقتَ للتوبة والخوف والحسابات
حيثُ دروبُ الأحلام
مليئةٌ بمشاوير النور والحوار الدامي
هناك ستُثيرين كُلَّ طقوس الغرام
وإني أراك الآنَ لحناً مرسوماً على صوتي
وقُبْلةً مطبوعةً على شفاهي
مليئةً بالمعاني والنداءات
في الموعد القادم
سأحملُ في عينيَّ . كما دائماً .
عبقاً وحنيناً وطعماً لمَذاق أعرق مدن التاريخ
ذاهباً نحو عينيك اللتين تنتظراني
وعندي ما يدلُّ
على أنّك ستنهمرين غماماً
على شُرُفات الوعْد
لا تتأخّري بصياغة شَكْل تجْربتنا القادمة
فإنَّ عصافيرَك تَنقُرُ شبابيكي
وعلى ساعدي حُلُمٌ
يلبَسُ أثواباً تليقُ بلقائك المُرتَقَب
لستُ مذنباً ولستُ بريئاً
أقرأُ في عينيك انْصهارَ الوقت
وأقرأ أمْطارَك التي تقفُ على حوافِّ غيم
يستعجلُ الهطولَ..
كيف ستكونُ تفاصيلُ الاتفاق
مَنْ منّا سيُلغي الصّمْتَ الخائفَ في الجلسة القادمة
قولي لعصافيرك أنْ تَرْتاحَ أجنحتُها
وأنْ تستَعدّ للطيران في حقولي
الحبُّ مزيجٌ من كلِّ شيء
ولكنّه يغْضبُ من الأشجار التي لا تُثمرُ
ومِنَ الأنهار التي لا تتمرّدُ على ضفافِها

إذا الحياءُ انتابَ القاربَ
فلا بُدَّ من ريح تدفَعُهُ نحوَ العُباب
كوني صوتاً عالياً
ولا تكون صدىً لإشكالات لستِ طرفاً فيها

أعتقد أن الهُدْنةَ صارت في أواخرها
فأشعلي نيرانَ الوجْد القادم
الشتاءُ قادمٌ أيتها اللائقةُ العابقةُ
فدعينا نتشظّى برقاً ورعداً
وأغلقي الأبواب بوجه الرياح الغبيّة
ورُدِّي عُصفورةً على ساعدي
واصْدحي بما شئتِ من الأغاني
إنّ غداً هو الأحلى
خصوصاً وأنّ كلماتي
كتَبْتُها لتُصبحَ عقداً على جيدك
الطافح بالنور والدَّلال.